شرح رسالة

« الحور العين وتنبيه السامعين »

لأبي سعيد نشوان بن سعيد الحميري

المتوفى ٥٧٣ هـ

تحقيق

كمال مصطفى

مكتبة الخانجي بالقاهرة

١٩٤٨ م

كلمة عن هذا الكتاب ومؤلفه البارع

الأمير العلامة أبوسعيد نشوان بن سعيد بن نشوان الحميرى المتوفى سنة ٥٧٣هـ كان معتزليا، فقيها، فاضلا، عارفا باللغة والنحو، والتاريخ وسائرفنون الأدب، فصيحا بليغاً، شاعراً مجيداً، له شهرة عالمية شرقاوغربا، فرقعة سلطنته العلمية مترامية الأطراف، تشمل المدن والأرياف، والبقاع والأصقاع، فى المشارق والمغارب، وإن ضاقت ساحة حكمه فى جبل (صبر) باليمن، الذى كان تولى حكمه برهة من الزمن، ولوكان اكتفى بماله من سلطان، فى عالم العلم والبيان، لما كادت دائرة حكمه الضيقة المحصورة من كل جانب، تغطى على شهرة هذا العالم العالمى الجليل المآرب، لكن لم تحل — ولله الحمد — دون انتشار أنوار علومه، تلك الحواجز الكثيفة المحيطة بدار حكمه، حيث بقى على منصة الدهر كتابه (شمس العلوم) — فى ثمانية مجلدات — ذلك الأثر الخالد البديع الذى استرعى أنظار الأدباء، واستلفتها فى كل بقعة إلى نوره الوضاء، الخارق لكل حجاب، النافذ وراء كل سحاب، فأعجبوا به كل الاعجاب، وهو وان كان كتابا فى اللغة لكن فيه استطرادات، وافاضات فى شتى العلوم بمناسبات، حتى أصبح موسوعة علمية واسعة الآفاق، كثيرة الاشراق، يتشوف إليها أهل العلم فى البلاد، ليتزودوا من فوائدها بأفخر زاد.

ونسخ هذا الكتاب غير قليلة فى خزانات الكتب فى البلدان.

وأما مختصر ابنه لكتاب (شمس العلوم) المعروف بـ (ضياء الحلوم) فمجلدان محفوظان فى المكتبة العاشرية بالاستانة تحت رقمى (١٠٩١) و (١٠٩٢).

ومن آثار هذا الامام الفذ: هذه المقامة البديعة المكنية برسالة (الحور العين، عن كتب العلم الشرائف، دون النساء العفائف) كتبها مؤلفها المبدع، ليرتاض بها الناشىء الصغير فى كل باب من أبواب البيان، ويزداد بها علم العالم النحرير فى كل ساحات العرفان، فأجاد وأفاد، على طريقته فى نشر العلم فى كل ناد وواد.

وكتب المقامات تكون فى الغالب جارية فى موضوعات أدبية ، روائية يالية ، لايتوخى فيها مؤلفوها بيان الواقع ، فى كل المواقع ، بل مجرد بيان معانى ، بألفاظ جزلة المبانى ، تزويداً للمتأدبين ببلغة ، توصلهم إلى الاتساع فى غة ، لكن صاحبنا هذا قد انتهج فى مقامته هذه منهج الجد ، فى كل ما أورد ، صحاً لحاكم نال ثناء المؤلف عليه ، وحاز الرضى لديه ، وأردف تلك المقامة بديعة بتفسير غريب ألفاظها وشرح معانيها ، جائلا فيها كل مجال للكلام ، ن لغة ونحو وصرف ، وعروض وقافية ، وأنباء عن الجاهلية وتأريخ ، للأديان لمذاهب والنحل ، وفقه ، وحديث وأمثال ، على طريقة مبتكرة فى تحبيب شتى بحوث للباحثين ، بحيث لايقدر مطالعها على أن يتخلى عن مطالعتها الى أن ستنفد مافيها ، فيتزود فى خطوات مطالعتها بكل معنى شريف ، وبحث طريف .

تراه عند ذكره لمعتقدات الجاهلية ينحو منحى كتاب البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسى فى توزيع قبائلها على فرق الزيغ من سوى الوثنية ، وأوسع ا تعرض له من الموضوعات فى هذا الكتاب بحث المذاهب والفرق والنحل ، كنه اقتصر بيانه على أئمتها وأربابها ، ومصنفى الكتب وأصحابها ، غير مستطرد ن الأصول إلى الفروع ، وغير ذاكر للتابع اكتفاء بذكر المتبوع ، وجل عنايته فى اب الفرق باختلاف المختلفين من الأنام ، فى معرفة المعبود والامام ، حيث اختصر لاختلاف فى غير هذين الوجهين ، لكثرة تشعب آراء البشر فى هذين الأمرين ، فذكر آراء الحكماء فى حدوث العالم وقدمه ، ومعرفة الصانع وامتناع عدمه ، وأقوال طوائف الفلاسفة والسمنية والثنوية والصابئة والدهرية والبراهمة والخرمدينية والمزدكية والزرادشتية وبعض فرق اليهود ، ثم تجد إقحام ذكر كتب افلاطون وأرسطو فى الوسط ، وترجمة أبى الهذيل العلاف المعتزلى المشهور بتوسع ، حتى ألم بمناظراته ووصفه بسعة العلم وكبر العقل ، ولا عجب فى ذلك ، لأن كل امرىء معجب بامامه ؛ وبعد أن فرغ المطالع من النظر فى الصفحات (١٤٥ — ١٦١)

المقحم فيها ذكر أفلاطون وأرسطوا وأبي الهذيل ، يجابهه ذكر البيانية من غلاة الروافض، وسرد باقي فرق الشيعة من جعفرية ومنصورية ومغيرية ، ثم يذكر افتراق الجعفرية الى اسماعيلية وفطحية وخطابية، وذكر فروع لاسماعيلية وفروع فروعها ، وسائر فروع الجعفرية المختلفين فى الامامة غاية الاختلاف، من زرارية وممطورة واثنى عشرية ، ثم يتوسع فى ذكر فروع الخطابية و بيان مخازيها فى باب تأليههم للأئمة ، ومزاعمهم فى النبوة ، وصلة الاسماعيلية بهم، و يستوفى ذكر باقى فرق الغلاة الخارجة عن الملة ، من مغيرية ومنصورية وفروعها، وقد عول فى كلامه على فرق الشيعة على كتابى أبى عيسى الوراق وأبى القاسم البلخى .

ثم استوفى ذكر الخوارج متوسعاً فى ذلك توسعاً مفيداً ، ونقل عن البلخى أن إمام الإباضية عبد الله بن إباض لم يمت حتى ترك قوله أجمع ، ورجع إلى الاعتزال . فتكون هذه الفرقة طائفة لا إمام لها . ثم تحدث ـ عوداً على بدء ـ عن التشيع وفرق الشيعة من (١٧٨) ثم ذكر ما للإمام الشهيد، ذى المنهج السديد ، السيد زيد بن على، من فضل جلى ، وسجايا كريمة ، ومزايا عظيمة ، وعلوم جمة زاخرة ، وصفات مجيدة فاخرة ، زيادة على ماله من طهر المنبت وطيب المرتع ، وذكاء الأصل والفرع، فأجاد وأفاد ، عليه وعلى سائر أهل البيت رضوان الله ورحماته ،وسلامه و بركاته.

ثم استطرد إلى ذكر زندقة الوليد بن يزيد ، وسائر بعض من اتهم بالزندقة فى الاسلام .

ثم ذكر أول من دعا الى مذهب زيد باليمن، وتحدث عن أول من نشر النحلة الاسماعيلية فى اليمن ، وعن أحداثهم هناك فى عهد المنصور بن زاذان وعلى بن الفضل ، وأفاض فى بيان ماصنعه أسعد بن يعفر بالقرامطة باليمن ؛ ثم ذكر أصل الخوارج والبلاد التى تغلبوا عليها؛ ثم ذكر فرق المرجئة والحشوية ، وعد لقبيحهم بها ناشئاً من حشوهم صحاح الأحاديث بدسيس الأخبار الباطنة ، وقال عنهم : إن جميع الحشوية يقولون بالجبر والتشبيه ، فعلى هذا يكونون من أجمع الفرق لخصال الشر فى نظر الناشىء ، حيث قال :

ما فى البرية أخزى عند فاطرها ممن يقول بإجبار وتشبيه

وحاول المؤلف أن يبعد لقب القدرية عن المعتزلة ، وقال : إن القدرية هم الذين يقولون فى كل ما يفعلونه : إن الله قدره عليهم . كما هو رأى المعتزلة فى الحديث الوارد فى ذلك ؛ ثم ذكر سبب تسمية المعتزلة معتزلة ، وذكر بعض الآراء فى ذلك ؛ ولم يذكر ماذكره أبو الحسين الملطى فى بيان رد البدع والأهواء فى سبب تلقيبهم بذلك من اعتزالهم الفريقين بعد التنازل بالخلافة لمعاوية ، ولعله لم يكن اطلع عليه ؛ ثم ذكر وجه الخلاف فى تفضيل على كرم الله وجهه ، نقلا عن شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار الهمذانى - وهو من كتبهم المفقودة اليوم - ثم بين صفات المعتزلة فى نظره ، وترجم لواصل منهم ترجمة واسعة ، ونقل عن البلخى الرجال الذين بعثهم واصل إلى شتى الأقطار ، للدعوة الى دين الله على مذهب المعتزلة ؛ وذكر عمرو بن عبيد وأبا الهذيل ، عوداً على بدء ؛ ثم ذكر مواطن المعتزلة فى الغرب والشرق ، وتطرق لبحث الاختلاف فى الامامة وذكر الشورى .

ثم ذكر حال الهنود فى عهد المؤلف - و بعد عهد المؤلف أصبحوا أصحاب أياد بيض فى العلوم العقلية والشرعية فى آن واحد ، كما تشهد بذلك مؤلفاتهم منذ القرن السادس الهجرى ، رغم وجود بعض الفاتنين بينهم ؛ ثم ذكر ماخص الله به العرب من المزايا العقلية والخلقية ، فأجاد وأفاد ؛ ثم ذكر خصائص الهند ، وخصائص الروم والفرس فى فصول ؛ ونقل فى غضون ذلك عن كتاب الأخبار للجاحظ نتفا مفيدة فى ذلك المعنى ، وأفاض فيما نقله عنه فى وجه قلة عناية الناس بأكثر الدين ، تحت تأثير التقليد ، والاستسلام للنشأ ، والذهاب مع العصبية والهوى ، فشرح أحوال البصرة والكوفة والشام فى عهد الجاحظ ؛ ثم نقل عن كتاب الجاحظ هذا نقداً مراً وجهه النظام إلى حملة الرواية بأفاضة لا توجد فى كتاب سواه ، وجل ذلك نحكم مجاب عنه ، لكن لا يخلو من عبر ؛ وأنحى باللائمة على تقليد الآباء والغلو فى حب الرجال ، وعد ذلك هو الذى أعماهم وأصمهم ؛ ثم أفاض المؤلف فيما أدى اليه التقليد

من توالى الزيغ فى طوائف ، وكثرة الهالكين بين الأولين والآخرين بهذا السبب ثم ضرب لذلك الأمثال .

وذكر طوائف النصارى واليهود ، وقال : (وما فعلت الجالوتية منهم فى مضاهاتها الرقوب ، وارثها الأرض عن يوسف بن يعقوب ، وما وجدت فى سفر شعيا ودانيال من صفة قديم الأيام ، أنه لايزال من الأملاك فى قيام ، قاعداً على الكرسى ، بيده ناصية كل وحشى وانسى ، أبيض اللحية والراس) واستمر يسرد الأمثال ، ويشرح ما يحتاج منها إلى الشرح .

واستعرض هكذا وجوه الزيغ فى الأديان الباطلة ، والنحل الآفلة ، الى أن قال : (وحاد أكثر الشيعة ، عن منهج الشريعة ، واتخذوا الغلو دينا ، والسب خدينا ، كم ينتظر لهم إمام غائب ، ولم يؤب من سفر المنون آيب ، وطال انتظار السبائية لعلى ، وأتت فيه السحابية بالكفر الجلى ، وطال انتظار جعفر على الناووسية العمية ، كما طال انتظار أبى مسلم على الخرمية ، وانتظار الحاكم بأمر الله على الحاكمية . . . وانتظار محمد العسكرى على الاثنى عشرية) ، ثم شرح جميع الطوائف الذين لهم انتظار الى غائب باستقصاء ، ثم قال : (وكل فرقة من هذه الفرق تدعى غائبها مهدياً ، وتهدى اللعنة إلى مخالفها هديا) .

وأشار إلى أهل الالحاد ، ثم قال ناقلا عن السيد أبى طالب : إن كثيراً من أسانيد الاثنى عشرية مبنية على أسام لامسمى لها من الرجال ، وقال : وقد عرفت من رواتهم المكثرين من كان يستحل وضع الأسانيد للأخبار المنقطعة إذا وقعت إليه . ثم قال : (إن صح ماروى عن المقاتلية ، فقد عبدت صنما كأصنام الجاهلية ، زعمت أن معبودها كالآدمى من لحم ودم ، يبطش بيد ويمشى على قدم) واستمر يحكى عن كل فرقة فرقة زائف آراء كل منها ، ويشدد النكير عليها ، معلقاً استنكاره لها على تقدير ثبوتها عنهم بقوله : (أو صح) عند ذكر كل فرقة إلى أن يستوفى ذكر الفرق كلها (١٥٤ — ٢٧٥) مفنداً للآراء الباطلة التى تعزى إليها ، لكنه

قال فيما قال : (أو ضح ماروى عن مالك، فى العبد المملوك وسيده المالك.. أوضح ما روى عن الشافعى فى القمار والشطرنج . . أوضح ما روى عن أبى حنيفة من تحليل مسكر الشراب .) مع أنه لا يعول على مثل أبى العلاء المعرى فى تلك العزويات ، والمعرى ـ الذى لا يتحاشى عن التطاول على رسل الله ـ لا يتورع عن التحامل على الأئمة . وقد فجر هذا الملحد المكشوف الامر ، حيث قال :

فافسق و...واشرب وقامر واحتجج فى كل مسألة بقول إمام

فالإثنار ينكر أصحاب مالك العراقيون ثبوته عن مالك بشدة ، فضلا عن خرافة المملوك ؛ و إباحة القمار افتراء على الشافعى ، و إنما يبيح اللعب بالشطرنج ، شحذاً للذهن لكونه مبنياً على الحساب ، إذا خلا عن المقامرة ، وله فى ذلك سلف ؛ وأبوحنيفة إنما أباح شرب ماسوى الخمر من الأنبذة ، للتقوى لا للتلهى ، لثبوت ذلك عن بعض فقهاء الصحابة ، والخلاف فيه معروف بين السلف ، على أن الفتوى فى المذهب على تحريم ما أسكر كثيره ، ولا يستساغ للأديب أن يعدو حد الأدب ، فى التنكيت كقول الزمخشرى :

و إنْ سألوا عن مَذْهبى لم أبُحْ بهِ وأكْتُمُهُ كتمانه هوَ أحزَمُ
فانْ حنفيًا قلتُ ، قالوا : بأنّنى أبيح الطّلا، وهْو الشراب المحرّم
و إنْ مالكياقلتُ ، قالوا : بأننى أبيحُ لهمْ لحم الكلاب، وهمْ همُ
و إنْ شافعيا قلت ، قالوا : بأننى أبيحُ نكاح البنت،والبنت تحرمُ
و إنْ حنبليا قلتُ، قالوا : بأننى بغيضٌ حلولىّ ثقيلٌ مجسّم
وإن قلت:من أهل الحديث وحز به يقولون:تيسٌ ليس يدرى و يفهم
تعجّبْتُ منْ هذا الزمانِ وأهلِهِ فما أحدٌ منْ ألْسُنِ النّاسِ يَسْلَمُ

ثم ذكر المؤلف اختلاف الناس فى النبوة، وذكر قول أهل التناسخ بأنها مكتسبة ، وهم خارجون عن الملة متوغلون فى الضلال ؛ ثم ذكر اختلاف المختلفين من شتى الطوائف فى حجية خبر الآحاد

وذكر فى ثنايا كلامه كثيراً من الأشعار الرائعة ، فقام المؤلف البارع بشرح غريبها ، وإظهار مكنونها ، وإيضاح خفاياها .

ثم ألم بأحاديث تدور على ألسنة الفقهاء ، فشرح غريبها ، وبين مكنون معانيها ، وذكر كثيراً من الأمثال العربية ، مبديا مضربها ومساقها ، ومبينا للحكايات التى وردت تلك الأمثال فيها .

وختم الكتاب بدعوة ومناجاة ، مرفوعة إلى قاضى الحاجات ، مباركة المبادئ والغايات ، قوية النبرات ، لذيذة النغمات ، فى سمع كل سامع ، جامعة لكل مطلب نافع .

فالكتاب على اعتزال مؤلفه ، جم الفوائد ، غزير العلم ، ممتع للغاية ، يغذى كل طائفة بفوائد ممتعة ، فنعم الجليس هو لمن يريد أنيساً ، على مآخذ يسيرة فيه ، لاتفوتها يقظة القارىء الكريم .

والله أعلم بما قاسى الأستاذان الفاضلان الأديبان النشيطان السيد ابراهيم الأبيارى والسيد كمال مصطفى فى تحقيق هذا الكتاب و إصلاحه ، كل فيما تولى أمره ، حتى أصدراه بهذا المظهر الأنيق ، والثوب القشيب ، فجزى الله سبحانه مؤلفه البارع على هذا الأثر المفيد خير الجزاء ، وسامحه فيما شط به قلمه ، وكافأ الأستاذ محمد نجيب الخانجى ، وسائر الساعين فى نشره وتحقيقه و إخراجه إلى الناطقين بالضاد ، بهذا الجمال والكمال ، مكافأة المحسنين ، وله الحمد فى الآخرة والأولى ؟

محمد زاهد الكوثرى

تصـــدير

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير نبى مبعوث ، بأوفى دين مبثوث ، وعلى آله الذين رزقتهم توقيراً ، ونزههم تطهيرا

« وبعد » فهذا كتاب « شرح رسالة الحور العين ، وتنبيه السامعين » لعلامة اليمن ، الأمير أبو سعيد ، نشوان بن سعيد بن نشوان الحميرى ، من علماء القرن السادس الهجرى ؛ تذيعه المكتبة العربية المصرية أول نشر ، وهى معى تؤمن أنه جليل النفع .

موضوعات الكتاب

ا ـ تحدث فيه مؤلفه عن اللغة والعروض والقافية .

ب ـ كما تحدث عن بعض التاريخ حديث الدارس الواعى .

جـ ـ وكذلك تناول فى بعض فصوله عادات العرب ، وأخلاقهم ومعتقداتهم فى الجاهلية

د ـ ولم يقصر بحثه فى مثل هذه الفصول على العرب وحدهم ، بل تناول فيه عادات الهنود والروم والفرس ، وطباعهم ومعتقداتهم ؛ وهى بحوث فياضة ، تكشف عن بصيرة وتأمل عميقين .

هـ - ولعل أبرز ما فى هذا الكتاب ، تلك الفصول التى تناول فيها باسهاب المذاهب البشرية ، والمباحث الفلسفية فى أصل العالم على رأى الطبيعيين والفلاسفة والأطباء ، ومختلف الملل والنحل ، وشتى المذاهب والفرق ، من اسلامية ، إلى نصرانية ، إلى يهودية ، إلى مجوسية ، إلى صابئة ...

نسخ الكتاب

ونسخة كتابنا ، التى أبرزنا منها هذا المطبوع ، هى نسخة خطية كتبت سنة ١٣٥٣ هـ عن أصل قديم ، بقطع الثلث ، فى تسع وستين ومائتى صفحة ، بخط نسخى جميل واضح .

النسخة التيمورية

ومما كان عضداً لى على التحقيق العلمى لهذا الكتاب ، أنى وجدت نسخة من الرسالة ، فى بضع وثلاثين صفحة ، بالمكتبة التيمورية بدار الكتب الملكية المصرية ، وعلى هامشها بعض تفسيرات لغوية ، وتعليقات تاريخية مقتضبة ، على أن بها بعض ما أشرف بى على المشقة ، واحتاج الى جهود لاستخلاص الحقيقة التى أرادها المؤلف من الرسالة .

آثارنا فى الكتاب

ولقد عانيت - علم الله - لاخراج الرسالة وشرحها مايعانى قاطع الصخر ، فقد كان هناك كثير من الاسماء والكلمات بدون إعجام ، ومن تصحيف وتحريف فى الأبيات الشعرية التى استشهد بها المؤلف ، وأسماء قائليها ، ولم يتسنّ لى الوصول إلى درك الصواب إلا بعد مجهود ومشقة عظيمة ، وتفريق الموضوع الواحد فى عدة صفحات ، ونقص فى أصل الرسالة .

وتم لنا بعون الله وفضله ، ابراز هذا الأثر النفيس ، بعد تصحيحه ، وردّ الأبيات الشعرية إلى أصلها ونسبتها إلى قائليها ، ورد كل موضوع إلى أصله ، وإكمال النقص ، وكشف غامضه ، وشرح عويصه ، وتوضيح مبهمه ، ووضع فهارس مفصلة للاعلام ، والأمم والقبائل والبطون ، والمذاهب والفرق والطوائف ، والأمثال والأقوال المأثورة ، والشعر والقوافى ، والأمكنة والبلاد والمياه ، هذا الى فهرس مجمل لموضوعات الكتاب وفهارسه.

وعلى الرغم مما نالنى فى إصلاح هذا الكتاب من نصب، أعترف بأنى لم أصل إلى الغاية فى إصلاحه من جميع نواحيه ، فلا تزال هناك ألفاظ لا أجزم أنها هى التى وضعها المؤلف ، بل قد يكون غيرها أنسب منها .

ما صار اليه الكتاب

و إنا لنرى أن هذه الذخيرة الثمينة ـ وهى تكون حلية فى المكتبة العربية ـ قد برزت فى ثوب أنيق ، ليس به ما يشينه ، أو يلحق به ذاما .

وعسى قارئها ألا يجد فيها مغمزاً ، ولا مطعنا ، لا فى ناحية الألفاظ ، ولا فى ناحية الأغراض والمعانى .

وضعنا للرسالة

ولما كان الشرح واسع الذيول ، بحيث يطغى على الرسالة ، وتكاد تضيع بين سطوره ، رأينا ألا نهوّش على القارىء فهم غرض المؤلف ، ولا مراميه التى يشير إليها ، ولا الناحية البيانية فى كلامه ؛ فأخرجنا الرسالة جملة دون شرح أو تعليق عليها أولا ، بعد ضبطها وتصحيحها واكمالها ؛ ثم أتبعنا ذلك بالرسالة وشرحها وتعليقنا عليهما ؛ ليكون فى هذا متعة للناظر ، وطرفة من الأدب العربى ، وسلوة للقارىء ، وانتقال به من فنّ إلى فنّ ، ومن فنن الى فنن ، حتى يجتنى من ثماره ما لذ وطاب .

شكر وثناء

وإن كان لأحد ـ بعد الله ـ أن يشكر، فانى لأحمد الحمد كله، وأثنى جم الثناء، على حضرة صاحب السمو الملكى، الأمير اليمنى الجليل، سيف الاسلام عبد الله، نجل المغفور له ملك اليمن السابق، المتوكل على الله، الامام يحيى بن محمد حميد الدين؛ فقد تفضل سموه، فأمر بالاسهام فى نفقات طبع هذا الكتاب، رغبة منه فى نشر الآثار العلمية القيمة، وحرصا على ذيوع ذخائر علماء اليمن.

ولست بناس، فى مقام الحمد والثناء، أن أسدى منهما الموفور إلى حضرة صاحب الفضيلة، العالم المحقق، القاضى الفاضل، محمد بن عبدالله بن حسين العَمْرى اليمنى، فانه هو الذى أكرمنا وأكرم المكتبة العربية المصرية، فقدم المخطوط، للمعاونة على إخراج هذا الأثر الكريم.

ولا يفوتنى هنا شكر حضرة الأستاذ ابراهيم الابيارى، عضو لجنة تخليد ذكرى أبى العلاء، على ما قام به من تصحيح وضبط ونشر الملازم الست الأولى من شرح الرسالة.

وكذلك شكر حضرة صاحب الفضيلة، العالم الفاضل، الأستاذ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، على كلمته القيمة التى قدم بها الكتاب.

رجاء

والله سبحانه وتعالى أسأل التوفيق إلى نشر آثار علماء لغتنا الكريمة، إنه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير؟

حلوان الحمامات فى يوم الاثنين ٤ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٧
١٥ من مارس سنة ١٩٤٨

لأمين محمد مطرجي

التعريف بالمؤلف

نسبه

أبو سعيد ، الأمير العلامة الفقيه، نشوان بن سعيد بن نشوان، اليمنى الحميرى، ينتهى نسبه إلى الأذواء من ملوك اليمن ، وقد أشار الى هذا فى قصيدته الحميرية، حيث قال :

أوذُ مُرَاثِد جَدُّنا القَيْلُ ابْنِ ذى سَحَرٍ أبو الأذْوَاءِ رَحْبُ السَّاحِ[1]

ويقول بدرالدين الصعدى[2] فى كتاب مآثر الأبرار فى تفصيل مجملات جواهر الأخبار[3] :

والعجب ممن يزعم أنه أخ للامام احمد بن سليمان[4] من أمه ، فان أم الامام

---

(١) ذو مراثد : ملك من ملوك اليمن ، واسمه حسان ذو مراثد بن ذى سحر ، ولا يوجد مراثد (على وزن مقاتل ومحارب) إلا فى حمير ، ثم لا يوجد فى حمير إلا فى هذا البيت ، وهو بيت بلقيس ملكة سبأ ابنة الهدهاد بن شرح بن ذى سحر ، التى ذكرها الله سبحانه تعالى فى سورة النمل .

والقيل : الملك من ملوك حمير ، وجمعه أقيال وقيول

(٢) هو بدر الدين محمد بن على بن يونس الصعدى ، من مؤخي اليمن ، في أوائل القرن العاشر الهجرى .

(٣) هو شرح قصيدة اسمها «جواهر الأخبار » نظمها صارم الدين ابراهيم بن محمد للامام المؤيد محمد بن الناصر فى اليمن ، واقترح الامام على بدر الدين أن يشرحها، ففعل ، وفرغ من شرحها سنة ٩٠٦ هـ ، والشرح يشتمل علي تاريخ أئمة اليمن ، والقصيدة ٣٦ بيتا، مطلعها :

الدهر ذو عبر عظمى وذو غير وصرفه شامل للبدو والحضر

(٤) سنتحدث عنه فى الكلام عن أئمة اليمن إذ ذاك

الشريفة الفاضلة مليكة بنت عبد الله بن القاسم ، وأم نشوان عربية من ولد أبي عِشْن (١) من ملوك اليمن ، وهو الذى قال فيه الشاعر :

وسَيِّدُ هَمْدَانِ أبو عِشْنِ الَّذى غزَا بِيشَةً فاجتَاحَهَا بِعَطَانِ ( )

مولده

لم يرشدنا التاريخ على وجه صحيح إلى مولد هذا الامام العظيم .

علمه وأعماله

كان أوحد أهل عصره ، وأعلم أهل دهره ، نبلا وفضلا وعلما ، مِفَنًّا مِعَنًّا فى اللغة والنحو ، والأنساب والتواريخ ، وسائر ما يتصل بفنون الأدب ، شاعراً كاتباً ، خطيباً مفوّها .

وكانت له اليد الأولى فى علم الفرائض ، ويقول القِفْطى ( ) فى كتابه انباه الرواة : وكانت له فى الفرائض وقسمتها يد .

---

(١) أبو عشن ملك من ملوك اليمن ، وفى نسبه اختلاف ، فهمدان تقول : أبو عشن بن يريم بن أحمد بن يريم بن مرة بن عمرو بن مرثد بن الحارث بن أصبا. وحمير تقول : هو من ولد مرثد بن مرة بن شرحبيل بن معد يكرب الرعينى

(٢) بيشة : اسم واد في اليمن .

همدان : قبيلة من اليمن ، وهم ولد همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان . اجتاح : استأصل وأهلك

(٣) أبو الحسن ، جمال الدين على بن يوسف بن ابراهيم الشيبانى القفطى ، وزير ، مؤرخ ، من الكتاب ، ولد سنة ٥٦٨ هـ (١١٦٥م) بقفط ، من الصعيد الأعلى بمصر ، وسكن حلب فولى بها القضاء فى أيام الملك الظاهر ، وأطلق عليه لقب «الوزير الأكرم» وكان صدرا محتشما جماعا للكتب ، وله مؤلفات عديدة ، وتوفى بحلب سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م)

وكانت العترة اليمنية متحكمة فى طباعه وعلمه، ومن ثمّ كتب كثيرا فى تفضيل اليمنيين على الحجازيين ؛ وفى هذا يقول الصعدى ، فى شرحه أحد أبيات قصيدة صارم الدين ـ التى أشرنا اليها ـ وهو :

وكم أجابَ على غاوٍ ومبْتَدعٍ كمِثْلِ نَشْوَانِ واليامى ذى الذِّكْرِ(١)

المراد بنشوان : هو القاضى العلامة نشوان بن سعيد الحميرى ، فانه من جملة علماء الزّيدية ، ولم يكن يقدح عليه الا بكثرة افتخاره بقحطان على عدنان ، نظما ونثراً ، وله فى ذلك هو والأشراف بنو القاسم نقائض كثيرة .

والمشهور عن نشوان أنه كان يقدم أقوال الهادى(٢) عليه السلام على سائر فقهاء الاسلام ، ويحكم بها للخاص والعام ، الا فيما أجمعت عليه الأمة واتفق فيه الأئمة .

وقد كان بينه و بين الفقهاء المبرزين فى عصره ، على كثرة عددهم ، ووفور عددهم ، مناظرات ومساجلات ، يكتب له فيها الغلبة والفوز عليهم ، ويكون فيها المجلّى ، وسواه المصلّى ؛ وفى هذا يقول الصعدى :

وكان فى عصره جملة من العلماء ، هم نجوم فى الأرض كنجوم فى السماء ، من علماء قحطان ، فلم يزر عليه فى مذهبه زار ، مع كثرة المناظرة فى ذلك والمذاكرة .

---

(١) اليامى : حاتم بن عمران ، وسنتحدث عنه

(٢) هو يحيى بن الحسين بن القاسم الحسنى العلوى الرسى ، إمام زيدى ، ولد بصنعاء سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) ونشأ فقيها كبيراً فى مذهب الزيدية ، وصنف كتبا ، ثم قام فى خلافة المعتضد العباسى سنة ٢٨٣ هـ فملك ما بين صنعاء وصعدة ، وبث عماله فى النواحى ، فنشبت بينه وبين عمال بنى العباس حروب ، فملك صنعاء سنة ٢٨٨ هـ ، وامتد ملكه ، فخطب له بمكة سبع سنين ، وضربت السكة باسمه ، وأكثر من ملك اليمن بعده من أئمة الزيدية هم من ذريته ، توفى بصعدة سنة ٢٩٨ هـ (٩١٠ م)

ولم يقع بينه و بين أحد من أصحابه جفاء ، سوى الأشعار التى قالها هو والشرفاء ؛ فقد كان بينه و بين الامام أحمد بن سليمان فى ابتداء الأمر عداوة ومهاجاة ، ثم تلا ذلك تعاطف وتلاطف ، وَصفاء ووداد ، وفى هذا يقول نشوان :

أتعقب النقائض بينى و بين الأشراف الهاشميين ، وذلك قبل طرور الشارب [1] ، و بلوغ المآرب ، فأما اليوم وقد رددت على الأشد ، من الهزل والجدّ ، وأتانى نذير الشيب ، وزايلنى كل ريب ، وتحليت بحلية الوقار ،ونظرت نفسى بعين الاحتقار ، ودعيت عن القريض ، وملاهى معبد والغريض [2] ، وأقمت الشعر ، بأبخس السعر ، واعتظت القرآن بالشعر بدلا ، وتركت الجدال وكان الانسان أكثر شىء جدلا ، وذهبت فى ذلك مذهب لبيد [3] ، واستبداله الشّهد بالهبيد [4] ، وجعلت مقاطع الآيات ، عوضاً عن مصارع الأبيات ، وذكر الله عوضا عن النسيب ، وذكر المعاد عن الربع والحبيب ، ولست من

---

(١) طر الشارب : طلع

(٢) معبد بن وهب ، نابغة الغناء العربي فى صدر الاسلام ، أصله من الموالى ، ونشأ فى المدينة ، وأصواته وأخباره كثيرة ، وعاش طويلا إلى أن انقطع صوته ومات سنة ١٢٦ هـ (٧٤٣ م)

والغريض : عبد الملك ، مولى العبلات ، من مولدى البربر ، من أشهر المغنين فى صدر الاسلام ، ومن أحذقهم فى صناعة الغناء ،سكن مكة وغنى سكينة بنت الحسين، ولقب « الغريض » لجماله ونضارة وجهه ، توفى نحو سنة ٩٥ هـ (١٧٤ م)

(٣) لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامرى ، أحد الشعراء الفرسان الأشراف فى الجاهلية ، أدرك الاسلام ، وترك الشعر ، وسكن الكوفة ، وعاش عمرا طويلا ، وتوفي سنة ٤١ هـ(٦٦١ م) ، ولم يقل فى الاسلام إلا بيتا واحدا ، وهو :

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

(٤) الهبيد : الحنظل ، أو حبه

الشعراء ، بل من عبيد الله الفقراء ، الذين تحل لهم صدقة الدعاء وزكاة الاستغفار، التى تصرف العذاب عن الكفار ، والشرفاء ـ أبقاهم الله ـ مما سألت مبرؤون، ومما طلبت مكثرون ، فاتشملنى بركتهم بهبة أفضل الصدقات ، إذا ذكروا الله فى أفضل الأوقات ، وهى صدقة الدعوات عقيب الصلوات ، إن الله يجزى المتصدقين ، ويجعل العاقبة للمتقين ؛ فدعاء الشرفاء المالكين مستجاب ، وليس بين العبد وربه حجاب ، فلعل الله أن يمحو عنى موبق الذنوب ، ويختصنى من رحمته بالذنوب ، فقد ضقت ذرعا فيما فرطت ، وأنشبت نفسى فى أضيق المسالك وأورطت ، وأصبحت لنفسى ظالما ، ومن ظلم غيرها سالما ، لكنى أستغفر ربا كريما ، ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما

شعره :

يقول القفطى . ولنشوان شعر كشعر العلماء ، لايخلو من تكلف ، وقد كتب على كل جزء من أجزاء كتابه « شمس العلوم » أبياتاً من الشعر لم يكن حلو المذاق .

ومن شعره ، ما كتبه تحت عنوان كتابناهذا ، وهو رسالة الحور العين :

أموت ويبقى كلّ شىء كتبته ... فبالله من يقرا الكتاب دعا لِيا

لعل إلهى يقرن العفو بالرّضا ... ويغفر زلاتى وسوء فعاليا

وله من قصيدة يمدح فيها الامام أحمد بن سليمان :

يا ابن الأئمة من بنى الدّهراء ... وابن الهداة الصفوة النجباء

وإمام أهل العصر والنّور الذى ... هدى الولىّ به من الظلماء

كم رامت الكفار إطفاء له ... عمداً ، فما قدروا على إطفاء

شمس يراها الحاسدون فلم يطق ... منهم لها أحد على إخفاء

يادا عيا يدعو الأنام لرشدهم وصلاحهم فى بكرة وعشاء
أسمعتهم ، فكأنهم لم يسمعوا ماجاءهم من دعوة ونداء
ياخير من تمشى به قدم على وجه البسيطة من بنى حواء

منزلته ووصوله الى الملك :

كان نشوان ذا نفس وثابة ، طموحة إلى المعالى ، لاترضى إلا بالوصول إلى قمة المجد ، والجمع بين شرف العلم وشرف الملك ، وكأنه كان يناجى أبا تمام حين كان يقول :

ويصعدُ حتى لظنَّ الجهـ ـولُ أنَّ له منزلاً فى السّماء

ومن ثم لم يكن هادئا ، مغتبطا بما هو فيه من الكفاية فى الفضل والعلم ، بل سمت نفسه إلى رياسة الملك ، وأن يكون ممن يخلد الدهر أسماءهم ، ويعتز بأعمالهم ، فأعدّ للأمر عدّته ، ولبس ثوب المجاهد القائد ، وخلع زى العالم الزاهد فقاد الجند ، ومشى إلى الهيجاء ، بعزم صادق ، ونفس لاترضى إلا بركوب الأخطار ، وراء السمو والمعالى ، فبدأ يخوض ميادين القتال ، وينتقل من فوز إلى فوز ، ومن نصر إلى نصر ، حتى أتيح له أن يقبض على صولجان الملك فى ناحية صَبِر[1] ، ويستوى على عرشه.

وفى ذلك يقول ياقوت فى معجم الأدباء :

استولى نشوان على عدة قلاع وحصون ، وقدّمه أهل جبل صَبِر ، حتى صار ملكا .

---

(١) صبر : جبل شامخ عظيم ، مطل على قلعة تعز ، فيه عدة حصون وقرى باليمن ، وبه قلعة يقال لها صبر

ويقول القفطى :

نشوان بن سعيد اللغوى اليمنى ، المدعو بالقاضى فى زماننا الأقرب ، من قضاة بعض مخاليف (١) اليمن الجبلية

وقيل إنه فى آخر عمره تحيّل على حصن فى بلاده وملكه ، وسماه أهل ذلك العمل (٢) بالسلطان .

ولعل فى وصول نشوان إلى الملك ـ فى زمان جمع ثلاثة ملوك غيره باليمن ـ ما يدل على عظم مكانته الدينية والعلمية والسياسية ، خصوصاً إذا علمنا أنه يشترط فيمن يتولى الملك ببلاد اليمن صفات ، أهمها : أن يكون محارباً ، قائداً ، خبيراً بضروب الحرب ، أهلا لقيادة الناس وقت الجهاد ، عالما ، متبحرا فى العلوم الدينية بوجه خاص .

ولقد كان باليمن على عهد نشوان ثلاثة ملوك سواه ، هم :

١ ـ حاتم بن عمران بن كريم همدان الفضل اليامى ، الملقب بحميد الدولة ، سلطان اليمن ، تملك صنعاء وأعمالها سنة ٥٣٣ هـ ، وفى أيامه ظهر المتوكل على الله احمد بن سليمان ، وعلى بن مهدى ، وكانت له معهما وقائع كثيرة ضاقت بها رقعة ملكه ، واستمر إلى أن توفى بصنعاء سنة ٥٦٦ هـ (١١٦١ م)

٢ ـ علىّ بن مهدى الحميرى ، كان فى بداية أمره من رجال الصلاح والارشاد والوعظ ، يحجّ كلّ سنة ، ولقى بعض علماء العراق والشام والحجاز ، فاستمال إليه القلوب ، واتبعه خلق ، فكانت تأتيه الهدايا والصدقات فيردّها ، إلى أن كانت سنة ٥٤٥ هـ فبايعه بالإمامة عدد كبير من أهل اليمن ، وقوى أمره ، فارتفع إلى

---

(١) المخاليف : جمع المخلاف : الكورة من البلاد . والمخاليف أيضا : الأطراف والنواحى

(٢) العمل : ما يتولى عليه العامل ، وأعمال البلد : ما يكون تحت حكمها

الجبال ، وسمّى من ارتفع معه المهاجرين ، وأخذ يغير على قرى تهامة ، ويعود إلى الجبال ، فملك كثيراً من التهائم ، ونشبت بينه وبين حاتم بن عمران حروب ، واستمر على حاله هذه إلى أن توفى سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م)

٣ ـ المتوكل على الله احمد بن سليمان ، أحد المتغلبين على اليمن ، ظهر فى أيام حاتم حوالى سنة ٥٥٠هـ ، ودعا الناس الى بيعته بالامامة ، فبايعه خلق كثير ، وملك صعدة ونجران ومواضع متعددة من الديار اليمنية ، ونشبت بينه وبين حاتم حروب ، ثم اصطلحا على أن يكون لكل منهما مافى يده من بلاد وحصون ؛ واستمر على ذلك إلى أن توفى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧١ م)

مؤلفاته

لنشوان تصانيف عديدة ، هى :

١ ـ شمس العلوم ، ودواء كلام العرب من الكلوم ، وصحيح التأليف ، والأمان من التحريف ؛ وهو من كتب الأدب الهامة ، ألفه فى ثمانية أجزاء ، ورتبه على حروف المعجم ، وقسمه إلى أبواب ، لكل حرف من الهجاء باب ، وقسم كل باب إلى شطرين ، أحدهما للأسماء والآخر للأفعال ، وجعل لكل حرف من الأسماء أو الأفعال بابا يشرحها فيه ؛ وقد سلك فيه مسلكا غريبا ، يذكر الكلمة من اللغة ، فان كان لها نفع من جهة الطب أو غيره ذكره ، فهو معجم لغوى ، لكنه يمتاز عن سواه من المعاجم اللغوية أنه يتضمن شروحاً علمية وطبيعية .

فاذا عرضت كلمة من اسم حيوان أو نبات أو معدن ذكر خصائصها ، كقوله فى لفظ دجاج ، قال : هو جمع دجاجة ، من الطير ، لحمها معتدل فى الحرارة والرطوبة .

وقال فى الذهب ـ بعد وصفه اللغوى ـ :

والذهب أعدل الأجسام فى طبعه ، لا يبليه الثرى ، ولا تأكله النار ، ولا يتغير ريحه على المسك ، و إذا برد وخلط فى الأودية نفع فى ضعف القلب .

وكذلك إذا عرض اسم رجل من القدماء ، ذكر عنه شيئًا من حيث التاريخ .

وكثيراً ما يأتى بالأحكام الشرعية

فالكتاب معجم لغة وعلم ، نحو دوائر المعارف فى العصر الحديث .

وتتولى نشره الآن مكتبة الخانجى .

وقد اختصر هذا الكتاب ابنه فى جزئين ، وسماه ضياء الحلوم .

ونشرت منتخبات منه فى أخبار اليمن بعناية عظيم الدين أحمد ، مطبوعة فى مطبعة بريل فى مدينة ليدن سنة ١٩١٦ .

٢ ـ رسالة الحور العين ، وتنبيه السامعين وشرحها ، وهى كتابنا هذا .

٣ ـ القصيدة الحميرية ، أو النشوانية ، وهى خلاصة السيرة الجامعة لأخبار ملوك التابعة وغيرهم ، وقد ذكر فيها ملوك حمير والأذواء والأقيال متسلسلة ، ومطلعها:

الأمْرُ جِدٌّ وهُوَ غَيْرُ مُزَاحِ ... فاعمَلْ لنَفسِكَ صالحًا ياصاحِ

ومنها .

أَيْنَ المَنَامِنَةُ المُلُوكُ ومُلْكُهُمْ ... ذَلُّوا لِصَرْفِ الدَّهْرِ بعْدَ جِمَاحِ
ذُو ثعْلَبَان وذُو خَلِيلٍ ثُمَّ ذُو ... سَحَرٍ وذو جَدَن وذو صِرْواح
أوذو مُرَاثِدَ جَدُّنا القَيْلُ ابن ذى ... سَحَرٍ أَبُو الأذواء رَحبُ السَّاح
وبَنُوه ذو قِينٍ وذو شَعَرٍ وذو ... عِمْرَانَ أهلُ مكارمٍ وسماح
وَالقَيْلُ ذُو ذُبيانَ مِنْ أبنَائِهِ ... رَاحَ الحِمَامُ إلَيْهِ فى الرَّوَّاح
خَدَمَتْهُمُ حُرّ الهَوَاء وسخَّرَت ... لِقَاول بِيض الوُجُوهِ صِبَاح

وسنقوم إن شاء الله بنشرها والتعليق عليها .

٤ ـ كتاب القوافى ، ولعله كتاب بيان مشكل الروى وصراطه السوى ، الذى أشار إليه المؤلف فى شرح رسالة الحور العين ، بالصفحة رقم ٨٧

٥ ـ التبيان فى تفسير القرآن

٦ ـ أحكام صنعاء وزبيد

٧ ـ وصية لولده جعفر

٨ ـ أرجوزة فى الشهور الرومية

٩ ـ رسالة على التصريف .

وفاته :

مات نشوان رحمه الله عصر يوم الجمعة رابع عشرين ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة (١٢ يونيه سنة ١١٧٨)

﴿ رسالة الحور العين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الاعانة

والصلاةُ والسلامُ على سيِّد المرسلين ، وعلى آله وصحبه .

السَّلامُ عليكِ أيَّتها العَقُوة ، الَّتى لا تُلِمّ بها الشَّقوه ، والرَّبْوَه ، الْمُوقَّرَة عن الصَّبْوَه ، ذاتِ الْقَرَارِ والْمَعين ، والْمُستقرِّ لِحُور الْعين ، بَعيدة عن رَجْم الظُّنون ، كأمثال اللُّؤْلؤ المكْنُون ، بيض الْغُرَر والتَّرائب ، سُودِ الطُّرر والذَّوائب ، مَقْرونة الْحَواجب ، مَوْشُومة الرَّواجب ، تَفْتَرُّ عن دُرَرٍ من الثغُور ، ودَرارىّ طَالِعَةٍ لا تفُور ، عَوَاطِل من الْحُلىّ ، لا تَعْرف عدُوًّا من وَلِىّ ، يَحْلُو بها ذُو الرَّيْب ، وهى بَرِيئَةُ الْجَيْب ، من التهْمَةِ والعَيْب ، لَمْ تَطْمَثْ بِأنْسٍ وَلا جان ، وَلاَ اسْتَتَرَتْ عَنِ الْأَبْصارِ بِالْبَرَاقِع وَلاَ الْمَجَان ؛ لا تَجْزى الْحُبّ بِنفَار ، وَلاَ تُحَرِّمُ بِنِكَاح عَلَى الكُفَّار ؛ تَحِلّ بَعْد ثلاثٍ مِنَ الطَّلاق ، بِمَسٍّ وَتَلاَق ؛ لا تَنْشزُ عَنْ بَعْل ، وَإِنْ وَطِئها بالنَّعْل ؛ مُقْعَدة تَسِيرُ فِى بُعْد وَقُرْب ، صَائِمَةٌ عَنِ الْأكلِ وَالشُّرْب ؛ مَمْنُوعَة عَنِ اللَّذَّاتِ ، نَقِيَّةُ الْعِرْضِ وَالذَّاتِ ؛ لاَ تُغْسَل مِن دَرَنْ ؛ وَلاَ تُوصَف بِكَسَلٍ وَلاَ أَرَنْ ؛ تَنْطِقُ بِصُمُوت ، وَتَحْيا بَعْدَ أَنْ تَمُوت ؛ يُسْمَع نُطْقُها بِالْعَيْن ، لاَ تَلْفُظُ بِلِسَانٍ وَلاَ شَفَتَيْن ؛ تُضْحِكُ وَتُبْكِى السَّامِرَ وَالضَّجِيع ، بِنِظَامٍ حَسَنٍ وَتَسْجِيع ، تُخبر عَنْ جَدِيسٍ وَطَسْم ، وَمَا عَفَا مِنْ أَثَرٍ وَرَسْم ، حُجَّةٌ دِين ، وَهَوَاهُنَّ فَرْضٌ عَلَى الْمُوَحِّدِين ؛ وحَدِيقة الْأَدَبِ الَّتِى لاَ تَهِيج ، وَتُرْبَته الَّتى أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج ، وَسِيمَة الْأَزْهَار ، جَارِية الْأَنْهار ،

غصونها دانيه ، وعيونها غير آنيه ، لا خبت أنوارك ، ولا ذبل نوارك ، لأنت جنة العدن ، الحقيقة بالسدن ، نحميك من بعد بالجنان ، ونشير بأطراف البنان ، هل أتاك نبأ النار المؤنسه ، في الأرض المقدسه ، بجانب القصر المشيد ، وجناب الملك الرشيد ؟ نار سؤدد رفعت للنواظر ، وهديت بها البوادي والحواضر ، جاهلها في الناس مليم ، وفاز من هولها كليم ؛ مضرمة للولي بلهب من ذهب ، وللعدو بهلاك ورهب ، أججت بأعواد الكرم لا الكروم ، وأرجت بطيب الأغصان والأروم ، تخضر بقربها الغرائس ؛ ويترب المفتقر البائس ، يعوذ بها الأواه المنيب ، ويلوذ اللاحق والجنيب ؛ بورك من في النار ، وعلى علو ذلك المنار ؛ أني وإن غدوت والبين على جان ، وضربت من الدهر بصوجان ، ضرب كرة بين الحزاور ، ولفظة ينطق بها كل محاور : بحفظ الغيب جدير ، وعلى هدية الشكر لقدير ، لسيد مطاع ، أصبح لبيت الشرف كالسطاع ، صنائعه في كل جناب ، كالاوتاد له والأطناب ، لا يفتأ من صيانة حسب ، غير مؤتشب ، بإهانة ما اكتسب ، من وفر ونشب ، حكم بالعدل مقسط ، ولدوحة الشرف متوسط ، بين والد مشب ، ومغرس كرم نامي العشب ، وطرف من الاخوة والأولاد منجب ، وشرف عالي العماد مرجب ، فهو كعبة للثناء يضيق بقاصدها الفجاج ، ويفيء بحمدها الحجاج ، ما صفرت يد القابض ، ولا رمى الظن بنكس حابض ، فحرس الله الحضرة المطهرة بأزال ، عن كل ما غير النعم وأزال ، حتى تنخفض واجبات الأفعال ، وتنطبق الشفاه بمطبق عال ، ويتولد الأدغام بين متوسط ذولقي ، وآخرها بطي حلقي ، فتلك حراسة تهرم الأزلم

الْجَذِع ، وَدَوَامٌ لاَ أَمَدَ لَهُ وَلاَ مُنْقَطع ، وَأَطَالَ بَقَاءَهَا حَتَّى تَدْنو الميمُ فى المخرَج من العَيْن ، عَلَى تَبَايُن النَّوْعين ، إنَّ بَيْنهُمَا لَأَبْعَدُ بَيْن ، بُعْد الْمَشْرِقَيْنْ مِنَ الْمَغْرِبَيْنْ ، وَحاطَهَا عَنِ النَّوَائِب ، وَمَخْشِيِّ الْغِيَر والشَّوائب ، حتّى تَعُود السّين وأخواتُها التِّسْع مِنْ حُرُوفِ الْجَهْر ، وَلَيْلَةُ التَّمَام أوّل غُرّة الشَّهْر ؛ أَيْنَ الْجَهْر مِنَ الْهَمْس ، وَنِصف عدّةِ الْمَنازل مِنْ مَنْزِلَة الشَّمْس ؟ تَضَرعُ بالدُّعَاء إلى ربّ السَّماء ، وَتَوَصّل بالأفعال وَالْأَسْمَاء ، وابْتِهال مِنْ أسيرٍ عانٍ فى يَدِ الزَّمَان ، لاَ يَطْمَعُ مِنْهُ بسلاَمَةٍ وَلاَ أَمَان ، مُنِيَ بِحَالٍ مِثْلِ تَاءِ الافْتِعَال ، فى الْانْقِلاَبِ وَالْإِبْدَال ، مَرّةً بِطَاءٍ وَمَرّةً بِدَال ، أُبْدِلتْ فى الحالَتَيْنِ بِشَدِيد ، غَيْرِ رَاخٍ وَلاَ مَدِيد ، وَضُروب مِن حَوَادِثِ الدَّهْرِ تَدُور ، مَعَ السَّنَةِ وَالشُّهُور ، تُعِيدُ الْجِلْدَ مِنَ الرِّجَال ، كَتُلاَئِيّ الْأَفْعَال ، كَمِلِيل الطَّرفَيْن ، ثُمَّ تَنْقِص مِنْهُ لِلْعِلَّةِ حَرْفَيْن ، فَيَصِير حَرْفاً وَاحِداً ، وَتُعِيضُه فِي الْوَقْفِ حَرْفاً زَائِدا ؛ وَنَوَائِب ، مَعَابِلها صَوَائِب ، تَرُدّ الصَّفْو مشيباً ، والشَّبابَ شِيباً ، وتُخْلِق بُرْدَ الشَّبيبةِ وقد كان قَشِيبا ، فَهو مَعها كَحَرْفِ اعْتِلاَل ، لاَ يُوسَمُ بصحّةٍ وإبْلاَل ، يَخْتلفُ باخْتِلاَف الحركاتِ الْمُخْتَلِفَات ، فَيَعُود على غير ما كان من الصِّفات ، ويذهبُ بدخُولِ الجَوازم ، ويلزُمه للحذف لَوَازم ؛ وآونةً تُنْقِص المرءَ بالْمَمَرّ ، وتردّ إلى الأَرْذَل كلّ مُعَمَّر ، فهى لنَظْم الحيوانِ زحاف ، ولها فى طلبِ النفوس إلْحَاف ، تُلْحِقُ الصّحيح بخامس الخفيف ، وتارةً تجعله من مصادر اللفيف ، تحلّ منه قوّة بعد قوّة ، وتَحطُّه من رَبْوَةٍ إلى هُوّة ؛ وَزَمانٌ كأبى قَابُوس ، فى النَّعيم والبُؤس ، يُسِيء بذَوِى الإحْسان ، وَيشْكر ثم يشكى بلسان ، يُثِيبُ الْمُحْسنَ بعُقوبَةٍ وَكَيْد ، كَمَا صَنَعَ بعَبِيدٍ وعَدِىِّ بْنِ زَيْد ، يَخْتلف بصَرْفه الْمُلْوان ، فى النَّبات

والحيوان ، فلِخَيْرِهِ من الشر عَقِيب ، وَعلى النِّعم من النِّقم رَقيب ، كما اعتقب فى الطّويل عَقيبان ، وارتقب فى المُضَارع رَقيبان ، وذلك أنَّ من المُحَال ، حَذْفَهُما معاً فى حال ، إلّا فى شعرٍ شاذّ ، قَمِنٍ بِإِشْقَاذ ، وَأَعْبَاء المَؤونه ، تَفْتَقِر إلى مَعُونه ، افتقارَ السَّبعة النّواقص إلى الْأَرْبع الصِّلات ، وعوائدها الَّتى هى عنها غير مُنْفصلات ؛ وَجَارٍ على غَيْر السّبيل جَار ، لا ينسخ ليله بإِفْجار ، شَارَكتُه فى الطَّبع بِالجِوار ، شركةَ أعراب الجوار ، فى الخِطَابِ والحِوَار ، فالرُّوَاةُ مِنْه فى أمرٍ مَرِيج ، لا يتَّفق لَهُ العُلماء على تَخْرِيج ؛ وحاسد ، يبيع الثَّمين بكاسِد ، ويَرُوم تَغْطِيةَ الشَّمْس ، براحَتِه وأنامِلِه الخَمْس ، ينْظرُ سليم الطّرف بأحوله ، نظر آخر الرَّجزِ إلى أوّله ، وخليل كاسمه خليل ، بين الصّحيح والعليل ، يمدّ الكفّ إلى الجرْبَاء ، ويتلوَّن تَلوُّن الحِرْباء ، فهو كالدَّخيل المرْوىّ ، بين الأساس والرَّوىّ ، يتمثَّل كلّ ساعةٍ فى صُوره ، ولا يَقِفُ على طريقةٍ مَحْصُوره ، يَلبس كلّ حين إهَاب حَرْف ، ويبدو فى هَيئَة وظَرْف ، ما ضَرَّه لو كان كالوَصْل والخُروج ، ولم يَتنقَّل فى المنازِل والبُروج ؛ وأناس ليسوا على الحقيقة بنَاس ، ولا الفِكْرُ بذاكرٍ لهم ولا بِنَاس ، أهل نَيْرَبٍ وَدَد ، خَفْضهم عن السُّؤدَد ، خَفْض ما بَعْدَ المائة من العَدَد ، فَهُمْ فى النِّسبة أنفار ، وفى التَّجْرِبة أصْفَار ، رَبيعهم جَماد ، وعِدُّهم ثِماد ، ونَقْدهم عِدَّة ضِمَار ، ولجوادهم وسكّيتهم مِضْمار ، عندهم مَرْبَعُ العَالم ، دَارِسُ المَعَالم ، وَمَرْتع الأديب ، مُسْتَو بل جَدِيب ، فهما فى الاجتراح فعل أمْر ، وفى الاطّراح واوُ عَمْرو ، أتى بها للفرق بَيْنَه وبَيْن عُمَر ، إذا اتّسق بالكلام واستمر ، واستغنى عنها بدُخول الْأَلِف ، التى جعلت عِوَضاً فى المنصرف ، ظروف وَغىً ، لا يُظفَر منهم بألمعىّ ، يصفون رغاء البَذَجِ والعِدَان ،

وكلّ وَرَع منهم هِدَان ، بشدة فارس زُبَيْد ، وعبادة عمرو بن عُبَيْد ، وف
حكيم فُرْهُود ، وبركة كليم المهُود ، وسَخَاء أبي عديّ ، ووقار سيّد أهل الوبَر
النّدِيّ ، وبيان شيخ إياد ، وقصيد الضّلِيل وزياد ، ووفاء ربّ الأبلَق الفَرْد
في التّرك المتروك عندَه والسّرْد ، ويجعلون الخاطىء من الهزَلى ، والشاكى من العزَلى
ويحسبون أن السّراب ماء ، تروى به الظّماء ، أين السّراب ، من الشّراب ، والآل
من ضحضاح اللآل ؟ كم غرّ خايله جهام ، وسرّ حامله كهام ، أذهل من سوائ
الأنعام ، إلاّ في كفاية العام ، من الشّراب والطّعام ؛ ومذاهب ، ضاقت فيه
المذاهب ، وتضاهى اللّص والرّاهب ، أطل منها الفهم ، على وهم ، وظفر القلّب ،
بخُلّب ، يسندون إلى الأحْبَارِ الأخْبَار ، ويولّون عن ألبابهم الأدبار ، ويفنّدون
العقول ، بخبر منقول ، وهنَتْ منه القوى ، وهْن الأقوى ، وضعف الاسناد ، ضعيف
السّناد ، بين طبّ ، داع إلى عطب ، يُفيد جليسه ، تدليسه ، ويمنح اخوانه ، زوانه ،
قَدْ فتنَ بِمِيْن رَاقه ، ضمنه أو راقه ، يتعلّق بروايه ، من الغوايه ، وعلهٍ ، من التعله ،
وخلاف ، عن الأسلاف ، ويحتج بحائف ، من الصّحائف ، وفاتر ، من الدّفاتر ، يتلو منها
سطورا ، أصبح عمودها عن الرشد مأطورا ، فهى حُبالة المنَمّس ، وصحيفة المتلمّس ،
وأب ، أفرى وما رأب ، يُلقّن وليده ، تقليده ، ويُلهم ابنه ، أفنه ، فحفظ الآخر
عن الأول ، ماليس عليه بمُعوّل ، وبعضٌ على بعض زار ، وهو مثقلٌ من الأوزار ،
يرى ضدّه جاهلا غبيا ، ولو كان صِدّيقاً أو نَبيا ، ويجعل مخالفه مُخْطيا ، وعن اللحاق
بالسوابق مُبطيا ، ويعد سُكّيته سابقاً مجلّياً ، لاحقاً مُصليا ، ومجلّى غيره فسكلا ، وجليّة
الواضح مُشكلا ، كلٌّ يُداوى سقيما من مقالته ، فمن لنا بصحيح مابه سُقم ؟ غلَبَتْ
على الفِطَن الاهواء ، فكل جُؤجُؤٍ هواء ، واستحسنت الأسواء ، فالحسن وضدّه سواء ،
كلّ يؤسّسُ على هار ، ويصل الليلَ بالنهار ، قد صُكّ بالعمىّ ، صكة عُمىّ ، وشغف
بالغىّ ، شَغَفَ غَيْلَانِ بِمَىّ ، بَذّ الدّاء كل آس ، وأعجز ردّ العضد من الآس ،
صُمٌّ صَمَام ، لقَدْ أغرب هاتف الحمام ، وأتى لذوى الكمد بامام ، أغنى من طَرَب ،

أم هتف لغير أرب ؟ لعله فقد إلفا ، فرضع من مُرِّ الفراق خلفا ، فهو عُروَة الحمائم ، ومُرَقِّشُهُنَّ الهائم ، أو فجع بهديل ، مُوفٍ على البديل ، هَلَكَ بزعمهم فى عصر نوح ، فكلّ حمامة تؤبّنه وتنوح ، تأبين متمم لمالك ، ومراثيه لأخيه الهالك ، وعلم ربك مافى الصدور ، وحمّ على الرضا والسّخط كلّ مقدور ، إلا أنه سَلِم من كفر وإسلام ، وتحصّن عن الملام بأحصن لام ، وتحلّى بأطواق ، لم تُبع فى الأسواق ، واستشار جذلا بمَذْل ، ناء عن العزل ، وترنّم بأوزان ، مُسلية عن الأحزان ، لاتفتقر من العروض إلى ميزان ، وصدح بقريض ، عَزُبَ عن الغريض ، ورجّع بألحان حسان ، كرّرها بأحسان ، وعرى من خَطَل الأنسان ، ما فعلت قدما العرب فى عبادة الأوثان ، وليس مع الله فى الإلهية شريكٌ ثان ، وماسنّت جهالهم فى الجاهلية ، على قبر الميّت من صبر البِلِيه ، وارتباط الفَرَس أو المطيّه ، وعدّ ترك ذلك من الخطيّه ، كيْلاَ يصبح ذلك الميت بين الركبان مَاشِيا ، إذاهبّ إلى الجمع يوم يبعث الناس عاشِيا .

وما فعلت حكماء الهند ، فى عبادة البدّ ، واختبار العبّاد منهم فى المواقيت ، بأبكار كالمواقيت ، بضم لهم منهنّ والتئام ، ولمس للفروج للبرّ لا للآثام ، بعد تجردهنّ وتجردهم من الثياب ، لزوال الشّك والارتياب ، فمن شَبِقَ منهم وأنعظ ، فقد كفر وما اتّعظ ، ووجبَ عليه القتل ، وعبادته مكيدة وخَتْل ، فعملت رجالهم فى استحضار المنيّه ، وحمل للهدايا السنيّه ، والتكفّن والتّضمّخ بالصّندل ، وطرح النفوس فى النار طرح عود المَنْدَل ، شوقا إلى زيادة من هَلَكَ من الأحباب ، وكم للجهل فى الناس من سَوْرة وعُبَاب !

وما فعلت الرُّوم فى عبادة الصليب ، والحضّ على ذلك والتأليب ، وأكل لحوم الخنازير ، بغير تثريب على الأكل ولا تعزير ، وقولهم أمكن ربُّهم عبيدَهُ من أسره وغلبه ، وأقدرهم على قتله وصلبه ، ليتأسّى بذلك أنبياؤه ، ويتشبّه حزبه وأولياؤه ، ثم أحيا نفسه بعد الموت ، وأعادها بعد الفَوْت .

وما فعلت الفرسُ فى عبادة النّيران ،وغسل الوجوه بأبْوَال الشّيران ،وأكل الميتة ووطء الأمّهات ، بصروح الحدود لا الشبّهات ، واحتجّوا بأن الذبح مؤلم ضارّ ، والنكاح لأهله سارّ ، وقالوا للخلق فاعلان متضادّان ، أحدهما إهْرَمَن والآخر يَزدان ، فاعل الخير والسّرور ، و إهْرَمَن فاعل الغم والشّرور ، وقالوا ليس الحكيم لما بَنى من الحكمة هادما ، ولا يصبح على الفعل الحسن نادماً ، ونسبوا من فعل ذلك إلى العَبَث ، وصريح الأديان شبيهٌ بالخَبث .

وما فعل أصحابُ السَّبت فى استقباح نسخ الأديان ، وحظْر المناهل على الصّديان ، إلا منهلاً واحداً للفَارط والتالى ، والعِشَار والمتَالى ، وقالوا النسخ هو البِدَا ، ولا يجوز على الرحمن أبدا ، وروَوْا عن موسى أنه قال إن شريعته غيرُ منسوخه ، وعقدها غيرُ محلولة ولا مفسوخه ، وحججهم من التّوراة ، وكل الفرق ظاهر العورات .

وما فعلتْ الجالوتيّة منهم فى مضاهاتها الرّقوب ، و إرثها الأرض عن يوسف ابن يعقوب ، وماوجدت فى سفرشعيا أو دانيال من صفة قديم الأيام ، أنه لايزال من الأملاك فى قِيَام ، قاعدا على الكرسىّ ، بيده ناصية كل وحشىّ وأنسىّ ، أبيض اللحية والرّاس ، لمامر عليه من الاحْراس .

وما فعلت السّامرية منهم فى عبادة العجل الذى له خُوار ، ولكل جنس من المذاهب شَيْن وعَوَار ؛ والسّامرية بالقول يُعلنون ، أنْ لا نبوّة لغير موسى ويُوشع بْن نُون .

وما فعلت العزيريّة منهم فى عزير ، وسيرهم فيه بأبعد سير ، و رفعهم له من درجة النبوة ، إلى بنوّة الأبوّة .

وما فَعَلَ أصحابُ الأحد فى المسيح ، وسيرهم فيه بالعَنَق الفَسيح ، وقولهم فى الحىّ الواحد القيّوم ، هو ثلاثة أقانيم يُوصَفُ بأقنوم ، وأبٌ وابنٌ وروحٌ

قُدُس ، وكلٌّ يَدين بِتَظَنٍّ وحَدس ، وحُجَجهم من الانجيل ، وضلّ عن قصد السّبيل كلُّ جيل .

وما فعلت منهم اليعقوبية ، فيما جعلت لعيسى من الرّبوبية ؛ زعمت أنه كان قديمًا لا فى مكان ، ثم تجسّم فصار جسداً ذا أركان ، وأنه قادر على الزّيادة فى الذّات ، ليصل بذلك إلى اللّذات ؛ ونفواعنه بذلك وَهَن العجز ، ومايختصّ بغيره من المنع والحجز ، لأنه القادر على ما يشاء ، لا يتعذّر عليه الفعل والانشاء .

ومافعلت النّسطورية منهم فى صفات اللاهوت ، واستِتَاره بِبَدَنِ النّاسوت ، وقولهم فى الماسح والممسوح ، ولم يزل الجهلُ نازلاً بكل سُوح .

ومافعلت الفلاسفة فى ضرب المَزَاهِر ، والاطناب فى الأعراض والجواهر ، ووصف المركّب والبسيط ، وما ظفروا من الدين بِفَسِيط ، وإقدامهم على إبطال الشرائع ، وقولهم بتدبير الأربع الطبائع ، وقد قالوا مع الأربع بخامس ، كقول هرمس الهرامس ؛ وأكثر الفلاسفه ، على غير الطريق عاسِفَه ، وفى أباضٍ من الحيرة راسِفَه ، وثموسها المنيرة كاسِفَه .

وما فعلت الهَيُولانيّةُ فى قدم الهَيُولىّ الذى هو عندهم أصل الأشياء ، ومدبرٌ للموات والأحياء ، بتحريك قوّة فى الجوهر أصليّة ، قديمة أزليه ، تجعل الميت ناطقاً من الحيوان ، وتَنْفَرد بتدبير هـذه الأكوان ؛ وقولهم بقدم الجوهر القابل للأعراض ، والصحاح أشبه شىء بالمِرَاض ، وقيل هى مقالة أرسطا طاليس ، ومن اطّلع على الأغنياء وَجَدَهم مفاليس .

وما فعل أصحاب التناسخ فى تنقل الأرواح فى الأجساد ، وصلاحها بعد الفساد ، ومثوبة المحسنين بالأبدان الأنسيه ، والهيا كل الحسيه ، وعقوبة المقدمين على الجرائم ، بأبدان أعجم البهائم ، ودوام الدنيا على الأبد ، ومالمثرين من سَبَدٍ ولالَبَد ، وقيل هى مقالة بُزُرْجَمِهر بن بَخْتَكان ، وكم انقادللغىّ حكيمٌ واستَكان .

وما فعلت فى تعطيلها الزنادقه ، وفصلت فى أحكامها المزادكه ، زعموا أن

أهل الأرض فى الأرزاق متظالمون ، وأنهم بين النّاس فى ذلك حاكمون، يقسّمون الأرزاق بالسويّه ، ولا يجيزون الأثرة باللويّه .

وما فعلت الفضائية فى عبادة الفضاء ، وردّ الحكم له والقضاء ، والمشيّة فى الخلق والامضاء ؛ قالوا لحاجة كل شىء فى المشاهدة إليه ، وغناه عما أحاط به واستولى عليه ، ولأنه لا تحصره الأماكن ، ولا يغرب عنه ولا يشبهه متحرك ولا ساكن ؛ قالوا ولأنه غير متناه ، وما نهى الجاهل عن الجهالة ناه .

وما فعلت المانيّة الغويّه ، ومن وافقها من الثنويّه، إذ جعلت مع الله صانعا، وله عن بعض الأفعال مانعا ؛ وقولهم بتدبير ربّين خلاّقين ، وضدّين متشاقين ، حيّين عالمين ، ومن جميع الآفات سالمين ، وهما النور والظلام ، ومارشد الشيخ ولا الغلام ، فالنور عن فعل القبيح متعال ، والظلام لكلّ شرّ فعّال ؛ قالوا ولن يكون التّضاد من الذّات الواحدة ممكنا ، فيكون المحسن مسيئا والمسىء محسنا، كما ليس فى النار برودة ، ولا فى الثلج حراره ، ولا فى الشّرى حلاوه ، ولا فى الأرْى مراره .

وما فعلت الدّيصانيّة فى تدبير حىّ وميّت ، وطال التعلّل بعسى وليت ، فالحىّ هو النور الحسّاس الدّراك ، والميّت هو الظّلام الذى ليس به حرَاك، كلاهما بزعمهم ربّان ، على البريّة يعتقبان ، ولكل واحد منهما فى الخلق من جنسه تأثير، وأوْد المذاهب وسَقطها كثير .

وما فعلت المرقبونيّة فى تدبير الثلاثة الأرباب ، خالق الهرم وخالق الشّباب، وثالث بينهما معدّل ، لما يستقبح من أفعالهما مبدّل .

وما فعل الصابؤن فى عبادتهم الملائكة المتعبّدين ، وخروجهم من دين إلى دين .

وما فعلت البراهمة فى نفى الوسائط ، وكم للصّحة والسّقم من شائب وسائط، إلا واسطة العقل فانها عندهم غير منفيه ، وشواهدها النيرة غير غامضة ولا خفيّه،

قالوا لأن إرسال المرسل إلى من علم أنه يعصيه ويمثّل برسله ، دليل عنـدهم على عيب المرسل وجهله .

وما فعلت الأطبّاء فى تدبير الطبائع ، وكم للضرر من شار وبائع ؟

وما فعلت الفلكيّة فى تدبير الفَلَك ، وسلوك سبيل الغىّ فيمن سلك .

وما فعل الحرانيّون عَبَدة النجوم ، وأصحاب الظّنّ والهجوم ، فى تدبير البروج والأملاك ، على قدر نزولها فى الأفلاك ، وقضائها فى الخيرات والشّرور ، على التوالى والمرور ، وليس فى التنجيم ، غير ترجيم ، ولا عند الكواكب ، نفع لو اكن ولا واكب .

ومافعلت السّوفسطائية فى نفى الحقائق ، وقطع الأسباب فى الدين والعلائق ، لقد جار عن الحَقّ سوفسطا ، ومال عن الطّريقة الوسطى ، ولقد اختصّ ماذهب إليه بمذهبه ، وبعد عن الأسفار قطع غيهبه .

وما فعل أصحاب الدّهر ، ومن قال بتدبير السنة والشّهر ، فيما نقل عنهم من الأقوال ، من قدم الأعيان وحدث الأحوال ، وبعضهم يقول بقـدم الصفات ، وما ظفر ذو السقم بالمعافات .

وأما فرق هذه الملة ، فالتّقاطع مستحلّ ، يكفّر بعضها بعضاً ، ويرى عداوته عليه فرضا ، وقد أمسكت كل طائفة منهم برئيس ، وعدت حسناً منه كل بئيس ، ولكلّ محاسنٌ ومساو ، وقولٌ ليس بمتساو ، وقلّ من يوجد على غير دين أبيه ، ومعلّمه وأقربيه ، وداء الناس فى دينهم داء قديم ، ماصحّ معه من النّقل أديم ؛ ومَنْ أوضَعَ فى المذاهب ، وقع فى الغياهب ، أو أغرَق فى البحث عن الفرق ، لم يُرناجياً من الغرق ، أو نظر فى الملل ، عثر على الزّلل ، وأشرف على اختلاف ، مُؤدٍّ إلى إتلاف ، وهجم على رياض مُرّة الثمار ، مُنْهجة للأعمار ، وموارد ماؤها أجاج ، والمسيغ لها مَجّاج ، فى العين الصحيحة عَوَر ، وفى القناة الصّليبة خوَر ، يشقى بها العامزُ والعاجم ، شَقاء وافد البَرَاجم ؛ فهل عند ضدّ أو ولىّ ، من نبأ جلىّ ، يحدّث عنه الرائد بما لقى ، ويمسك عمّا بقى ، يزيل دُجَى الشكوك والشُّكاه ،

بقبس هدى لاقبس مشكاه ، يصدق جُهينة الخبر عن أخيها ، ويبلغ الخاتمة من توخّيها ؛ أكثر من ينتحل السنّة ، فى دَجْنه ؛ فالعامّة ، فى طرق الحيرة آمّه ؛ والقدريه ، للطعن دريّه ؛ وحجّة الرافضه ، عند الله داحضه ؛ والحشويّه ، غويّة شويه ؛ وَرَكِبت المرجيه ، مطية غير منجيّه ، ومشت الخوارج ، بأقدام عوارج ؛ ونزلت المعتزله ، من الفضل بمنزله ، فهم ملائكة الأرض ، وأعلم الناس بالسّنة والفرض ، فرسان الكلام ، وذُرْوَةُ أهل الاسلام ؛ وحاد أكثر الشيعه ، عن منهج الشّريعه ، واتخذوا الغلوّ دينا ، والسبّ خدينا ، كم ينتظر لهم إمامٌ غائب ، ولم يؤب من سفر المنون آيب ؛ طال انتظار السبائية لعليّ ، وأتت فيه السحابية بالكفر الجليّ ، وأخرجته إلى الرّبوبيّة من الانسانيه ، كما فعلت فى أئمتها الكيسانيّه ، وطال انتظار ابن الحنفيّة على الكربيّه ، كما طال انتظار ابن ذى الجناحين على الحربيّه ، وطال انتظار جعفر بن الباقر على الناووسيّة العميّه ، كما طال انتظار أبى مسلم على الجرميه ، وانتظار الحاكم بأمر الله على الحاكميه ، واستراحت القطعيه فى موسى بن جعفر من انتظار الواقفة المطوره ، وأكاذيبها المسطوره ، وطال انتظار ولد الحسن بن على ، المعروف بالعسكرى ، على الاثنى عشريه ، كما طال انتظار اسماعيل بن جعفر على فرقة من الجعفريه ، وطال انتظار محمد بن اسماعيل على المباركيه ، كما طال انتظار فرق من الشيعة لمحمد بن عبدالله النفس الزكيه ، وطال انتظار محمد بن القاسم الطلقانى ويحيى بن عمر الكوفى على الجارودية ، كما انتظر غيرهما من أئمة الزيديه ، وطال انتظار الحسين بن القاسم الرسى على الحسينية ، كما طال انتظار المستورين على الباطنية ؛ وكل فرقة من هذه الفرق تدعى غائبها مَهْدِيّا ، وتهدى اللعنة الى مخالفها هَدِيّا ، وتعلّق كلٌّ بروايات الآحاد ، وما لبّس به على المسلمين أهل الالحاد ، ولو كُشِفَ الحجاب ، لظهر العُجاب ، من تشبيهات الغرابيه ، وشهادات الخطابيه ، وشعْوذَة المغيريه ، وإفك المنصوريه ، وشرْك العميريه ، ومين الحريريه ، وضلال الكامليه ، وتيه المفضليه ، وجهل

المقاتليه ، وفسوق المعمريه ، ومروق الحروريه ، وتصوير الجوالقيه ، وتجويز المجبرة الشقيه .

لقد جار فى التجسيم عن الشكم ، هشام بن الحكم ، شبّه ربّ البريه ، بالدرّة المضيه ، ومثله بالخشام ، هبلت أمّ هشام ، له حد وأبعاض ، وحيّزٌ وأعراض ، تحيط به الجهات الست ، اليمين والشمال والخلف والأمام والفوق والتحت .

وفرّ من التشبيه ضرار ، فلم ينجه الفرار ، زعم أن ربّه يُدرك فى المعاد بحاسّةٍ سادسه ، برويّه منه وفكرة حادسه ؛ ياضرار بن عمرو ، لقد جئت من العجب بأمر ، أى حاسة تعقل غير الخمس ، من بصر وسمع وذوق وشم ولمس ؟ وغير ضرار يجيز رؤية البصر ، لما ورد فى الكتاب والخبر ؛ وعنده أن الجسم أعراض بالخلقة مؤلفه ، وهى على هذا التأليف متضادة مختلفه ، وعنده اثبات فعل واحد على الحقيقة من فاعلين ، كجور من جائرين ، وعدل من عادلين ، وهو أول مبتدع لهذه المقاله ، فهل له عندالله من عُذر أو إقاله ؟

إن صحّ ما روى عن المقاتلية ، فقد عبدت صنما كأصنام الجاهلية ، زعمت أن معبودَها كالآدميّ من لحم ودم ، يبطش بيد و يمشى على قدم .

أو صح قول البطحية فى التلذذ بعذاب النار ، لقد سلك واردها سبيلا من الرشد على منار .

أو صحّ قول جَهْم بن صفوان فى أفعال العباد ، فلا ذنب للحاضر ولا البَاد ، إذ الفاعل عنده كشجرة حُرِّكت بالريح ، صرح عن الكفر أى تصريح ؛ أو صحّ قولُه فى فناء النّار والجنّه ، انّهما لجانى الكبائر أحْصَنُ جُنّة .

أو صَحّ قول المرجية فى إخلاف الوعيد ، فما أشبه الشقىّ بالسّعيد ، والعفو من الكريم المنّان غير بعيد .

أو صحّ قول المجبرة والخوارج فى عذاب الأطفال ، لقد حملت أحمال البوازل على الأفال .

أو صحّ ما قالت العوفيّة، إذا كفر الإمام كفرت بكفره الرعيّة ، لقد أخذ المسلم بذنب الكافر، وضُربت ذات الخفّ بجرم ذاتِ الحافر، كمُداواةِ ذى العر، بكىّ آخر سالم من الضرّ .

أو صحّ ما روى عن الميمونية من الهنات ، من نكاح بنات البنين و بنات البنات ، لقد أحيُوا سنّة المجوس ، وتزويج حاجب لدَخْتَنُوس .

أو صحّ قول اليزيديّة فى آخر الزمن، من ظهور نبىّ مؤتمن ، يأتى من السماء بكتاب، يزيل رَيْبَ كلّ مُرتاب ، لقد سعدَ من نَسِيَهَ الحمام، حتى يدْركه نبىٌّ أو إمام .

أوصحّ ماروُى عن مالك ، فى العبد المملوك وسيده المالك ، لقد جاء بإحدى الكِبَرَ ، وأتى فى الدّين بصّماء العِبرَ .

أو صحّ ما روى عن الشّافعى فى القمار بالشّطْرنج، فليْتَ شعرى ماعنده فى لعب الزّنج ، وضربها على الطّبل والصّنج .

أو صحّ ما روى عن أبى حنيفة من تحليل مُسكر الشّراب ، لقد نقل بَيْتَ الخمّار إلى المحراب .

أو صحّ ما رُوِى عن الجوالقيّة فى تزويج المُتْعَة بالأجور ، لقد حملوا المُحْصِنَاتِ على الفجور .

أو صحّ قول الأباضية إنه يجوز أن يُبْعَثَ نبىٌّ بلا دليل ، لقد أجازوا النبوة لكلّ ضِلّيل

أو صحّ قولهم فى تصديق ما ورد من الأخبار، عن المؤمن والكافر بغير اختبار ، لقد خلطوا الصِّدق بالمَيْن ، وصدّقوا الأذن على العين .

أو صحّ ما رُوِى عن الخطابيّة من استحلال شهادة الزور ، وأن الشّاهد بها منهم على المُخالف غير موزور ، وأن مخالفيهم ضُلّال ، وأموالهم ونساءهم لهم حلال ، لقد أتوا فى الدّين بشنعاء نآد ، وأوهنوا منه عضداً قويّة الآد .

أو صح ما روى عن المعمّرية من استحلال الزنا والفسوق ، لقد أقاموا للفساد فى الأرض شرّ سُوق .

أو صحّ ما روى عن المعمّريّة المفضليّة من ربوبيّة جعفر ، لقد باءوا بذنب غير مكفّر ، وأنهم رسله إلى الخليقه ، لقد جاءوا فى الدين بالفليقه ، من ربهم بعد جعفر هَلَك ذلك الربّ ، وأصبح به ذو السَّنام وهو أجَب ؟

أوصحّ مارُوى عن أبى منصور ، أنه الكِسْفُ السّاقط من السّماء ، وأنه عرج إلى العرش بكلمة يمشى بها على الماء ، وأن معبوده مسح رأسه بيده للايناس ، وقال أى بنى اذهب فبلغ عنّى كافّة الناس ، وأن النّار والجنّه ، والبدعة والسنّه ، أسماء رجال ، مالها غير التسمية من مجال ، يجب لبعضهم عداوة ولبعضهم إجلال ، فالفروض ساقطة والمحارم حلال ، وأن النبوة لاتنقطع بمحمّد ، ولابد فى كل وقت من نَبىّ مُصَمَّد ، وأن أول ماخلق الله موسى ثم علىّ ، لقد خاب وخسر العجلى ، ورجع دون العروج بالعرج ، ولم ينج عند الله من حَرَج .

أوصحّ مارُوِى عن ولده الحسين من استحلال الْخَنْق ، وغيلَة المخالف بوقص العُنق ، وأخذ ما معه من مال ، لقد حمل من ظلم البريّة أثقل الأحمال ، وأنه ولىّ الأخماس من ما غنم أصحابه من الخنق بالتماس ، لقد تزوّد شرّ زاد للمعاد ، وخرج إلى الله بجرم باغ عاد .

أو صحّ ما روى عن المغيرة بن سعيد ، لبئس ما حفظ عنه أكرم قعيد ، أن معبوده رجلٌ من نور على رأسه من النور تاج ، ينبع قلبه بالحكمة ويهتاج ، وأن أعضاءه بعدد حروف أبجد ، لقد عَضِه ربّه وما مجّد ، وأشار بالعورة إلى الصاد ، إن ربّك للظّالم بالمرصاد ، هلك المغيره ، وأُحْصِيت الكبيرة والصغيره .

أو صحّ قول البيان بن سمعان ، إنّ معبوده فى صورة الإنسان ، وإنه يهلك ويَبْقى وجهه ، كما يهلك بزعمه نظيره وشبهه ، وإنه يدعو النجوم بالاسم الأعظم فتُجِيب ، إن شأن التميمى لعجيب ، لقد بان كفر البيان ، وأعلن بالكفر أى إعلان .

أو صحّ ما روى عن المختاريه ، ونقل عن الضراريه، أن الدنيا غير فانية، لقد فاز كل جان للذنوب وجانيه .

أو صحّ ما روى عن الطّيارة الغالية أن ربّهم يحتجب بأبدان الأئمه ، وأن عبادتهم واجبة على كل أمه ؛ لقد كثرت الأرباب ، واتسع للداخل هذا الباب.

أو صحّ قول أصحاب الرجعه ، فى قدوم من انتجع من المنون أبعد نجعه ، وظهور الأموات قبل القيامة مع ابن الحنفيه ، ورد جميع الأديان على الحنيفيه ، لقد ضعف ناصر الرمم ، و بعد استظهارها على الأمم .

أو صحّ قول الغرابية فى أبى تراب ، إنه بالنبى أشبه من الغراب بالغراب ، و إن جبريل غلط فى تبليغ الرسالة إلى علىّ، لقد نسبوا الغلط ـ جل عن ذلك ـ إلى الواحد العلىّ .

أوصحّ قول الراوندية إن الامامة من التراث، و إنها لأقرب العصبة والوارث، فانها بعد النبىّ للعباس ، بغير شك بينهم ولا التباس ، و إن بنى البنات لا يرثون شيئا مع العم ، ولا إمامة فى النساء فيدلون بإرث الأم ، لقد اشترك فيها البر والفاجر ، و وقع الاختلاف والتّشاجر ، وحكم بها لكل ظالم فظ ، على قدر الوارثة والحظ .

أو صحّ قول أصحاب النص بإمامة من فى المهد، وأخذ البيعة له والعهد ، لقد طابقوا الأكاسرة فى تقديم غير الكامل، و وضع التيجان على بطون الحَوَامل، والاتمام بالجنين، قبل حُدُوث النَّجْو والذَّنين .

أو صحّ قول الجارودية إنهامنصوصة بالاشارة والوصف، بأخبار عندهم كخبر النّعل والخَصَف، لقدوصفوا الخالق بالرّمز ، والتلبيس بالاشارة والغَمْز ؛ أو صحّ قولهم فى حصرها على الذريه ، دون غيرهم من البريه ، و إنها لهم كالقلاده ، بما لهم من

لولادَه ؛ لقد شُرِك فيها ولدُ قُرَين ، وولدُ الدّيباج ابن ذى النُّورين ؛ كما أن عيسى من ذرّية الخليل ، لوجود الشاهد والدليل . أو صَحّ قولهم إنها شورى منهم بين الأفاضل ، لقد أيّدُوا حجّة المناضل ، ورجعوا إلى العموم بعد الخَصّ ، والى الشورى بعد النّص ، واستحسنوا ما استقبحوه من قبل ، وانقطع عن التمسك ذلك الحبل ؛ ولن توجدحُجّة قاطعة على النّص والحصر ، تشهد لصاحبها على المخالف بالنّصر ، من تنزيل ، لا يعارض بالتّأويل ، وتأويل لا يُنْقَض بالسماع أو ضرورة العقل ، التى لا تفتقر الى النقل .

أو صَحّ مارُوىَ عن عبدالله بن معاوية ، لقد هوى به إلى الهاوية ، إن العلم يَنبت فى قلبه نبات العشب و بنات أوبَر ، لقد أساء العبارة بما عبّر ، و إن روح الله تحولّت فى آدم ، ثم نسخت فى كلّ نبيّ حدث وتقادم ، حتى صارت فيه ، لقد أعلن من الكفر ما يُخفيه ، فعبدته شيعته وكفروا بالقيامه ، وكفّروا على شُرب المُدَامه .

أو صحّ ماروى عن الشّمراخيه ، لقد شدّوا لملل الكفر مَرِسَ الآخيّه ، إنّ الصّلاة جائزةٌ خلف من صلّى إلى القبله ، و إن كان مخالفاً للنّحله ، من النّصارى واليهود ، إنهم على النّصو يب لهم شهود .

أو صحّ مارُوِىَ عن الصفرية فى تجويز مُنَاكحة المشركين والمشركات ، وقبول شهادتهم وموارثتهم فى التركات ، لقد مزجوا الغثّ بالسّمين ، وجعلوا الكفارَ مُسلمين .

أو صَحّ مارُوى عن الخشبية فى إجازة نسخ ماحكى الله من الأخبار ، لقد نسبوا الكذب ـ جل عن ذلك ـ إلى الجبّار .

أوْ صَحّ قول الثّعلبية إنّ أطفال المشركين مشركون كالآباء ، لقد أخذهم بما حمل غيرهم من الأعباء .

أو صحّ قول الفضيليّة أن يكون مؤمناً من أظهر الايمان ، وأسرّ الكفرَ بالرّحمن ، لقد أجازوا النفاق ، وأوجبوا عليه الاتفاق ؛ أو صح قولهم فى صغائر الذّنوب ، لقد حكموا للمؤمنين من الشرك بذنوب .

أو صحّ قول البيهسيّة إنّ المسكر إذا اتّخذ من المال الحلال ، فهو أحلّ من الماء الزّلال ، وإنّ الذّنوب موضوعةٌ عنهم فى حال السكر ، لقد أتوا فى الدّين بشىء نُكْر ؛ والبيهسية تسير فى المخالف بأخذ المال وقتل الغِيله ، وأعمال الكيدة فى ذلك والحيله .

أو صحّ قول النّجديّة إنّ مَنْ أذنب منهم مِنَ الايمان غيرُ خارج ، ومَنْ أذنب من غيرهم فقد كفر بذى المعارج ؛ لقد صيّروا الذّنوب إيمانا ، تكون من العذاب لأهلها أمانا .

أو صحّ قول الأزارقة إن المسلم بدار الكفر كافر ، ليس لذنبه غافِر ؛ لقد جعلوا الاسلام كفوراً ، واتباع الحق نفوراً ؛ والأزارقة تستحلّ قتل الأطفال ، وترى مال المخالف من الأنفال ، ويحتجون بقوله تعالى : « رَبِّ لاتَذَرْ على الأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيّاراً ، إنّكَ إنْ تَذَرْهمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إلّا فاجِراً كَفّاراً » .

هذه جملةٌ من مذاهب يسيره ، وقلّ من يمشى بقدم غير كسيره ، وسائرها يكثر به الشرح ، ويحسن الإلغاء له والطّرح . فانظر إلى اختلال هذه العقائد ، وضلال مقودها والقائد ، فلكلّ عروة منها انفصام ، وخسر من له بها اعتصام .

أيها الرّابط على ما فى الكيس ، بل أمنت على ما فيه من التوكيس ؟ انصرف إلى الصيارف ، فكم له من ناقد وعارف ، وطُفْ به على الطّوائف ، لعله مِنَ الزّوائف .

كم لهذه الجملة من قار، لا يرتدى عن القراءة بوَقَار ، هل معه من الدِّين غيرُ تقليد، أم فتح باباً مُغْلَقاً بإقليد ؟

أنّى بالأران لفارس الأران ، وطرفه الحرىّ بالحران ، أين المَحْض من الضّيح ، وأبو غبيش من أبى وضيح ؟

ما للهِدَان ، بالفتك يَدَان ، ولا للعَيْهب، إقدام على الغَيْهب .

ظَفِر طالبُ الثّار ، بكبوة العَثار ، وضعف ظُنْبوب الدّار ، عن الفوز بالأبرار .

هل يبارى الفرسان إلى الأنفال ، كفل على ثقال ، يعجز عن الذِّياد ، على الجياد ، وعن قبض الرِّهان، بكليل الجرى مُهان ، أصبح عن السّباق ، مضاعف الرّباق ، وعن الطّراد، مثنيًّا عن المراد ، وقد جمع بين المِنّ الغابر ، والمعنّ السائر، دهر كأم الستة من الدوائر ، واللبيب مع الجميع ، كحدّ السريع ، نزل للخلاص بربع غير مريع ، لا يستمتع بضرع ولا ضريع ، ولزم للفكاك جزءاً وحده، واشتركت الثلاثة فى الجزء الذى بعده ، ولزم الآخران ثالث الأجزاء ، وهو آخر النّقوض والأبزاء ، وان يكون فكّ إلا من حركة ، من آخر الدوائر المشتركة ، وربما أدت الحركة ، إلى غير بركة ، وأل بالحرف ، السّكون إلى حذف .

كَثُرت حركات المُتَكاوس فسمّى مخبولا ، وأصبح على النقص مجبولا ، وطرح من عبّه الضروب ، وأفلت شمسه بالغروب ، واعتدلت حركاتُ المتواتر، فستره عن الوَصْم ساتر ، والناس للدهر نظامٌ وقصيد، وزروع منها قائمٌ وحصيد، وقد تدخل العلل على صحيح الوزن ، وتبدّل سهله بالحزن ، وربما قطع المذال ، فاستراح العذّال ، وحذف المشبع ، وبشّر بغير السلامة مرْبع ، وإلى النقص غاية التمام ، ونغّص اللذات ذكر الحمام، وإقبال الدّهر إدبار، وعجماؤه حُبَار، لا يطلب فى الجناية بضمان ، وكم وقع هلْك من أمان ، كما هلك الضّيزن بابنته النّضيرة ، ودلاله نفيضة الجيش والحضيره ، حين هويت سابور ، واجتلبت لأهلها الثّبور،

وكان الضّيزن ملكا من قضاعة بالحضر عظيم الملك ، فلم ينجُ بذلك من الهُلك ، وغزاه سابُورُ ذو الأكتاف الفارسيّ ، وللدّهر السهامُ الصائبةُ والقسيّ ، فأطال عليه مُدّةَ الحصار ، وماقدر منه على انتصار ، فَهَمّ عنه بالاقلاع ، حتى كان من النضيرة اطّلاع ، فرأت سابور فعشقته ، فرمت أباها بالحتف ورشقته ، وخانته وهى عنده أمينه ، وأرسلت إلى سابور أنها له بالفتح ضمينه ، وشارطته على النكاح والإيثار ، وأعلمته أن عورة الحصن من الرّئار ، وغبقت أباها المدام ، وسقت الحرس والخدّام ، وأرسلت إليه من شدة الغُلمه ، عند اعتكار الظّلمه ، أن إيت من السّرب ، فهذه هى ليلة القَرَب ، فبعث إليها بالأبطال ، فقضى الدين بعد المطال ، وطلع الفجر على أهل الحصن بالدّما ، وبلّت العراص منه بالدّما ، فقتل سابور الضّيزن وقومه ، ولن يعد مُعَمّر يومه ، وبدل الحصن خراباً بحده ، وغضارة الأيام إلى مده ، وأصبح خراباً تَضغو به الثعالب ، وللقدر أسباب وجوالب ؛ وبات سابور بالنّضيرة معرّسا ، وكان فى العواقب متفرّسا ، فتجافى جنبها عن المهاد ، فسألها عما لقيت من السهاد ، فشكت خشونة المضجع ، ومنعها ذلك أن تهجع ، فقال : إنه فراش حشوه زغب النعام ، لامايتخذ من وبر الأنعام ، ولم تنم الملوك على ألين ولاأوطأ منه ، فما تجافيك أيتها المرأة عنه ؟ ونظر إلى ورقة من آس بين عُكْنَتَيْن من عُكَنِها ، فتناولها فسال موضعها دما من بدنها ؛ فقال : بم كان يغذوك أبواك ، فى طول مقامك معهما ومثواك ؟ فقالت : بالمخّ والزبد ، وصفو الخمر والشهد ؛ فقال : إذا كان هذا حالك عندهما ، فلن تَصْلُحى لأحد بعدهما ، وينبغى ألاّ أركن إليك ، وقد فَعَلْتِ مافَعَلْتِ بأبويك ! وأمر بها فشدّت ذوائبها بين فرسين فقطعاها ، مارعت الصّنيعة ولارعاها .

وصلاح الدهر إلى فساد ، وكم رحم غابطٌ من الحساد ، ولكل أجل كتاب ، وليس من الزّمن إعتاب ؛ أهون بأمّ دَفْر ، وأيامها الشبيهة بأيام النّفْر ، فُتِنت منها الرجال بكعاب ، غير بريّة من ألعاب ، تخدع البُعولة تحت النكاح ، خديعة الزّباء

لجديمة الوضّاح ، وكم وصفها بالمكر بصير ، لو يطاع قصير ، وحذّر منها نذير ، لو ينفع التّحذير ، فحُبُّها للقلوب متيمٌ ، وكل يوم هى من بعل أيمّ ، كثيرة العشاق والخطّاب، وكل خائب صِفْر الوطاب، قد دقوا بينهم عليها عِطْر مَنْشِم، وتجشّم الصعب كلُّ متجشم ، عارية تُستَرَدّ من مُستعيرها، وعُرْية يرتجعها مُعيرها، كم لها من آبر ، يعلن بذمّها على المنابر ، ومن لائم ، وهو بها جدّ هائم ، يغدو منها الزّاهد ، وهو لضنك العيش مجاهد ، فقيل هو للدنيا رافض ، وقد ركضه عن الدنوّ منها راكض ؛ سمعت فى الناس بزاهد واحد ، ولاتخفى الغزالة لجاحد ، رب الخورنق ، فى صفو عيش غير مُرنق ، فسرّه مارأى من ملكه العقيم ، وميّز بصحيح من الفكر غير سقيم ، فقال أوَ كُلّ ماأرى إلى زوال ؟ قيل نعم وتقلب من الأحوال ، فقال لأطلبنّ عيشاً لايزول ، وملكا ربّه عنه غير معزول ، فانخلع من ملكه ولبس الأمساح ، وذهب فى الأرض مترهباً وساح ، وحق للعاقل أن يتوب ، قبل أن يوافى أجله المكتوب .

اللّهم إنّى إليك تائب ، ومن لم يتب من عبادك فهو خائب، توبة من بَهَضه الذّنب ، وأثقل منهُ الغارب والجَنب ، وأستغفرك استغفار منيب هائد، إلى كل مايُسْخِطك غَيْر عائد ، قد اعترف بما اقترف ، ووَجِل ممّا عمل ، فخجل، نادم من تلك الخطايا وركوب تلك المطايا، التى اقتعد منها العَشْواء ، فتابعت به الأهواء ، حتّى أوردته فى المهالك ، وسلكت به أضيق المسالك، فهو يَتَمَلْمَلُ تململ السّليم، ويتأوّه تأوّه المُليم ، كَدَابِغَةِ أديمٍ ذى حَلَم، ومُداوى ميت لايُحِسّ بألم ، كيف السبيل إلى الخلاص من الورطه . ودخول باب حطّه ؟ لاخلاص إلا بالاخلاص ، ولاتَ حين مناص، لمن علق بشرك القَنّاص ، لو كظمت، لما ظلمت، أوعفوت، لما هفوت، فهل من متصدّق على بائس فقير، مثقل من الذنوب وقير ، بصدقة من حلّ ، تفكّه من الغلّ ، أودعوة مُثابه، يرجى له بها إجابه؟ إن الله يجزى المتصدقين، ويُثيب المتقين .

نحن بنو آدم وحواء، لأب وأمّ فى الولادة سواء، فما فضل أخ على أخيه، إلا بالعمل الصالح وتوخّيه، كلّنا لله عبيدٌ أكرمنا عنـد من اتقاه، وصان وجهه عن حرّ النّار ووقّاه، لانُسأل يوم القيامة عن نسب، كلٌّ يُؤخذ بما اجترح واكتسب؛ نجا المخفون، وأمن الخائفون، أفلح من أخلص النيّه، قبل هجوم المنيّه، وبتّك أسباب الأمل، ووصل حبال العمل، وشغله ذكر المعاد، عن ذكر دَعْدٍ وسُعاد

اللّهم قد عَلِمْتَ السّرائر، وحفظت الجرائر، فأمّن من الخيفه، وَامح سيئاتى من الصحيفه، بقبول هذه التوبه، وَالتّجاوز عن الحوْبه

اللهم إنّى غير قائم بشكرك، ولا آمن لمكرك، لا يُجير عليك أحد، ولا لمخلوق دونك مُلْتحَد، وقد استجرتُ من عذابك بكرمك، ومن بطشك بحلمك، وهربت منك إليك، وجعلت توكلى عليك، وقرعت باب فضلك بالسّؤال، وطلب ماعندك من النوال، وجعلتُ جودك لى إليك شافعاً، ولما أخشي من الردّ دافعاً، ولن تُخَيّب سائلك، ولاتُرَدّ وسائلك

اللّهم هذا مقام العائذ بك من عذابك، والتّائب إلى ثوابك، فغفرا غفراً، وَرأْباً لما أفرط فيه وأفرى، لن يجدى الأسف، بعد ركوب المُعْتَسف، ولا الأرق، بعد الغَرق، إلا بعفوٍ من الكريم، عن مطالبة الغريم، ومَحْو ماسَلَف، والصّفح عمّا اجترم واستَلف

اللّهم اهْدِ ضَلّيلا جَارَ عن اللّقَم، واشْفِ عَليلاً موفياً عن السّقم، طَالَ ماضَرَبَتْ له الأمانى حبالها، وألبسته المطامع سربالها، فَشَام خلّباً يُومِض فى جهام، وقَتَاماً يحسبه دفع الرّهام، حتى انقضت أيام العنفوان، ومَضَت بوادر الأوان، وقد شُغِل شغلَ ذات النّحْيَيْن، وبلغ حزام رَحْله الطّبْيين، وهو فى ذلك المضمار، يُعَلِّل النّفْس بضمار، قد أنفق رأس المال، بالآمال، ومُنع بالأثقال، عن الانتقال، طمع فى الدّنيا طَمَعَ أشْعب، فعنّى نفسه وأتْعَب، فظفر منها بِخُفَّىْ حُنين، وبصر بكمه

القَلب لاالعينين ، ياصِفْر الكفّين ، بظفر الخفّين ، و ياندم الكُسَعيّ ، لنظيره في العيّ .

اللهم أقِلْ عاثراً زلّت به القدم ، وطال تأسّفهُ والنّدم ، وارحم قَنِيصاً أوْقَع نفسه في الحُبَاله ، ومُفْرِحاً مُفْحم اللّبيب والباله ، وافكك أسيراً يرسف في الصّفاد ، لاالصّفد المستفاد ، ياخير مدعوّ ، وأفضل مرجوّ ، يدعوه المضطرّ ، و يرجوه القانع والمعترّ ، إنك بالاجابة جدير ، وأنت على كلّ شيء قدير .

، لنظيره

صاً أوْقَعَ

الصفاد،

جوه القانع

شرح رسالة الحور العين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

تفسير رسالة الحور العين

[مقدمة المؤلف]

أمّا بعد حَمْد الله الذى استوجب الحمْد بكرمه وجوده ، وأوجب المزيد لمن شكره من عَبيده ؛ فإنّ الأدب لمـّا صار بضاعه ، فى أهل هذا الوقت مُضَاعَه ؛ قد رُميت بالكَسَاد ، لِمَا شَمل أهلَ الدهر من الفساد ؛ وصار العِلْم عاراً على حامليه ، والفَضل شَيْناً لأهليه ؛ ولم يَبق من أهل المروءات من يُومأ إليه ، ولا من أهل النَّخوات من يُعتمد عليه ؛ وأصبح ملوك العَصر بين تاجر يُنسب إلى الرياسه ، وخمّار يملك أمر السياسه ؛ ولكل واحد منهما نَدَامَى وأتباع ، قد جَمعت بينهم الطِّباع ؛ وشرّف الله السلطان الفاضل عن جُلَساء هذه الأجناس الدَّنيّه ، بالأفعال الحَميدة والهمة السَّنيه ؛ فأصبح غُرّةً لبَهيم زمانه ، وذِرْوَةً يعتصم بها الخائفُ لأمانه ؛ وأضحى نسيجَ وَحده ، وسَقْطَ [1] ماقَدح الدهرُ من زَنْده ؛ رجوتُ أن يكون عنده لبضاعة الأدب سُوق ، ولأغصان دَوْحته بُسُوق [2] ؛ فَبَعثتُ إليه بهذه الرِّساله ، محذوفة عن الأسهاب والإطاله ؛ وسَمَّيتها « رسالة الحُور العين ، وتنبيه السامعين » .

---

(١) السقط (مثلثة) : ما وقع من النار من الزند حين يقدح .

(٢) بسوق : طول . ، يقال : بسقت النخلة بسوقا : طالت ، وعليهم : علاهم .

وكنيتُ بـ « الحور العين » عن كتب العلم الشَّرائف ، دون حِسان النِّساء العفائف ؛ وجعلتُها لرياضة الناشئ الصغير ، وزيادة العالِم النِّحرير ؛ ولم أرَ وَجْهاً لإنفاذها بغير تفسير ، فقرنتُها من ذلك بشئ يَسير ؛ على اشتغالٍ من القلب ، وتقسيم من اللبّ [١] ؛ بأسباب فى الرسالة مذكوره ، وأخرى مطويّة مستوره ؛ تُنسى الفَطِن الذَّكيّ اسمه ، وتُلْبس ثوبَ النُّحول جِسْمَه . وإنى فى هذا المقام ، لمُتمثِّل بقول أبى تمام :

وليس امرؤٌ فى الناس كُنْتَ سِلاحَه عَشِيّة يَلْقى الحادثات بأعزلا

فإنْ قَصَّرتُ فيما اختصرت ، أو عثَرتُ فيما أكثرت ؛ فله المنّة بالتَّغمُّد ، [٢] فى الخطأ والتَّعمُّد ؛ وما أبرِّئ نفسى من الزَّلل ، ولا أبرئ السَّقيم بالعِلَل [٣] . ومَنْ هو من الزلل معْصوم ؟ مُدّعىْ ذلك مَحجوجٌ مَصْخوم [٤] ، وعند العُقلاء موصوم .

وهذا أول التفسير ، والله ولىّ التوفيق والتيسير .

---

(١) تقسيم : توزع وتفرق .

(٢) التغمد : الستر ، يقال : تغمد فلان فلانا ، إذا ستر ما كان منه .

(٣) العلل : جمع علة ، وهى ما تلهو به وتتشاغل .

(٤) محجوج : قامت عليه الحجة . ومخصوم : مغلوب . قال الفيروزاباذى (خصم) : « خاصمه مخاصمة وخصومة ، فخصمه يخصمه : غلبه ، وهو شاذ ، لان فاعلته ففعلته يرد فعل منه الى الضم إن لم تكن عينه حرف حلق ، فانه بالفتح ، كفاخره ففخره . وأما المعتل ، كوجدت وبعت ، فيرد الى الكسر ، إلا ذوات الواو فانها ترد الى الضم ، كراضيته فرضوته أرضوه ، وخاوننى فخفته أخوفه » .

التفسير

* قوله : « السلامُ عليكِ أيتها العَقُوه ، التى لا تُلم بها الشَّقُوه ؛ والرَّبُوه ، المُوقَّرة عن الصَّبُوه » .

المراد بذلك السلام على ربّ العَقْوة وصاحبها . والعرب تخاطب الديار بخطاب أهلها ؛ قال الله تعالى : (واسأل القَرْيَةَ التى كنّا فِيها والعِيرَ التى أقْبَلنا فيها) أى واسأل أهل القرية وأهلَ العِير . قال الأحوصُ بن محمد الأنصارى :

يا بيتَ عاتكةَ الذى أتعزَّل حَذَرَ العِدَا وبه الفؤاد مُوكَّلُ (١)
إنى لأمنحكَ الصُّدودَ وإننى قَسَماً إليك مع الصُّدود لأميل

وقال ذو الرمة التميمىّ :

أدَاراً بحُزْوَى هِجْتِ للعَيْنِ عَبْرَةً فماء الهَوَى برفضُّ أو يترقرقُ (٢)

والسلام ، اسم من أسماء الله تعالى فى قوله تعالى : « السَّلامُ المُؤمِنُ المُهَيْمِنُ » . والسلام : شجر ، واحدته سَلامة . والسلام : السلامة . والسلام : الاستسلام . والعَقْوة : ما حول الدار ، وكذلك العَقَاة . الشَّقُوة (٣) : ضدّ

---

(١) أتعزل ، أى أتنحى عنه . ويجوز فى « أتعزل » أن يتعدى بنفسه وبمن . وفى الاصل : « التى أتغزل » . تصحيف . انظر اللسان (عزل) .

(٢) حزوى (بضم أوله وتسكين ثانيه ، مقصور) : موضع بنجد فى ديار تميم : وقيل رمال بالدهناء . (انظر معجم البلدان) . ويرفض : يسيل . ويترقرق : يجىء ويذهب . والذى فى الاصل : « فماء ألحيا » . وما أثبتنا من ديوان ذى الرمة : طبعة أوربة .

(٣) الشقو ، بالفتح ويكسر .

السعادة ، وكذلك الشقَّاوة والشقَّاء [١] ، بمعنى واحد . والرَّبوة : المكان المرتفع من الأرض ، وفيها لغات : رَبوة ورِبْوة ورُبْوة ، بفتح الراء وكسرها وضمها ، وكذلك [٢] الرُّباوَة : المكان المرتفع . ورَبى الشئ يَرْبُو ، إذا زاد ، ومنه الرِّبا فى البيع ، ويُثنى رِبَوَان ورِبيَان . ورَبا الرجل الرابيةَ ، إذا علاها . وربا ، إذا أصابه الربو ، يربو فيهما . قال الراجز ، [٣] فجمع بين اللغتين :

حتى علا رأسَ يَفَاع فَرَبا [٤] رفَّه عن أنفاسه وما رَبا [٥]

ورَبوت فى بنى فلان ، أى نشأت . والموقرة : الموصوفه بالوقار . ومنه قوله تعالى : (وقَرْن فى بيُوتكنّ) . قال أبُو عبيدة : هو عندى من الوقار . ورجل مُوَقر ، أى مُجرَّب ؛ ورجل مُوَقَّر ، أى مُبجل . ومنه قوله تعالى : (وتُعزِّروه وتُوَقِّروه) . والصَّبوة والصُّبُوّ والتصابى ، كل ذلك بمعنى ، وهو الميل إلى الصبا واللهو والحداثة ، يقال : صبا يَصْبو : صُبُوا وصَبْوة ، وهو أن يفعلَ فعل الصبيان [٦] . قال أبو إبراهيم : يقال : صَبِىَ يَصْبَى صبا ، إذا لعب مع الصبيان [٧] . والصبا ، يمد ويقصر ، إذا كسرت الصاد قصرت ، وإذا فتحتها مددت .

---

(١) الشقاوة ، فيها الفتح والكسر . والشقاء ، فيه المد والقصر .

(٢) وكذلك ، أى الرباوة ، كالربوة ، مثلثة .

(٣) هو العجاج . (انظر الورد ١ : ٧٤) .

(٤) اليفاع : المشرف من الارض والجبل . ورواية البيت فى الورد : « إذا علا رأس يفاع (صوابه يفاع) قربا » . والبيت هناك دون تاليه بأبيات .

(٥) فى الاصل : « على أنفاسها » . وما أثبتنا من الورد .

(٦) هذا غير مافى كتب اللغة ، ففيها : أن صبا يصبو صبوا وصبوة ، إذا مال إلى الجهل الفتوة . أما أن يفعل فعل الصبيان ، ففعله صبي يصبى ، كرضى يرضى ، والمصدر صبا ، كرضى .

(٧) انظر الحاشية السابقة .

* قوله : « ذات القَرَار والمَعين ، والمُستقرّ لحور العين » :

القرار والمستقر من الأرض : موضع الإقامة . والمَعين: الماء الجارى ؛ يقال : مَعَن الماء[١] يَمعُن معناً ، إذا جرى . والمُعْنان :[٢] مجارى الماء . والمعَان :المنزل. والمَعْن : الشئ اليسير السهل . قال النَّمر بن تَوْلَب العُكلى ثم البصرى : [٣]

* فإنّ هلاك مالك غير مَعْنِ * [٤]

أى ليس بهين . والحور: جمع حَوْراء وأحْوَر ، مثل أعور وعوراء ، وجمعه عُور ؛ وأسود وسوداء ، وجمعه سُود . وعنى بالحور فى هذا الموضع الكتُب . والحَوَرُ : شدة بياض العين فى شدة سوادها . قال أبو عمرو : الحور أن تسوَدّ العين كلها، مثل [أعيُن] الظِّباء[٥] والبقر . وليس فى بنى آدم حَوَر ، و إنما قيل للنساء:حُور العين ، لأنهن شُبِّهْنَ بالظباء[٦] والبقر . قال الأصمعى : ما أدرى[٧] ما الحَوَر فى العين . ويقال : حورتُ الثياب ، إذا بيضتها . وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون ، لأنهم كانوا يُحورون الثياب ، أى يُبيضونها .

---

(١) يقال : معن الماء ، من باب كرم ، ومعن ، من باب نصر ، وأمعن ، وذلك إذا سهل وسال ، وقيل إذا جرى .

(٢) فى الاصل : « المعان » . تحريف .

(٣) فى الاصل : العلكى ثم المصرى » : صوابه ما أثبتنا. وقد مات النمر فى أيام أبي بكر أو بعدها بقليل. ومن المؤرخين من يذكر أنه نزل البصرة ، مع أنها بنيت زمن عمر . (انظر الأغانى والاصابة والاستيعاب) .

(٤) صدره : « ولا ضيعته فألام فيه» . انظر اللسان (معن) . وفيه « ضياع» بدل « هلاك » .

(٥) فى الاصل : « مثل الضبا ». والتكملة والتصويب من اللسان (حور) . والعبارة فيه غير معزوة إلى أبي عمرو .

(٦) فى الاصل : « بالضبا». والتصويب من اللسان (حور) .

(٧) فى اللسان : « لاأدرى » .

والحوارىّ أيضا : الناصر . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الزبير ابن عمتى ، وحوارىّ من أمتى » . والحواريات : نساء الأمصار ؛ [١] سُمّين بذلك لبياضهن . [٢] قال أبو جِلْدة اليَشكرى :

فقلْ للحواريات يَبْكينَ غيرنا ولاَ تبكِنا إلا الكلابُ النّوابحُ [٣]

والحوارَى من الطعام : ما حُوِّرَ ، أى بُيِّض . ويقال : حوَّر خُبزته ، إذا أدارها ليضعها [٤] فى المَلّة . ويقال : حَوِّر عينَ بَعيرك ، أى حجِّر حولَها بكىّ ، وهو شئ مُدوّر [٥] . ويقال : احْورّ الشئ ، إذا ابيضّ . والجفنة المُحوَّرة : المُبيَّضة بالسَّنام . ويقال : نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر ، وهو النقصان بعد الزّيادة [٦] . والأحور ، عند العرب : كوكبٌ ، وهو المشترى .

والعِين ، بكسر العين : جميع عَيْناء ، وهى البقرة الوحشية ، سُمِّيت بذلك لِسَعَةِ عُيونها ؛ يقال : بقرة عيناء وثورٌ أعين ؛ وقال بعضهم : لا مُذَكر له . وَأمّا العَيْن ، بالفتح ، فالعين عين الإنسان . والعَين : مصدر عنت الشئ أعِينه عيناً ، إذا أصبته بعينك وغَبَطْته ، فهو مَعين ومَعْيون [٧] ، والفاعل عائن .

---

(١) فى الاصل : « النساء البيض » . والتصويب من اللسان .

(٢) زاد فى اللسان : « وتباعدهن عن قشف الاعراب بنظافتهن » .

(٣) وبعده :

بكين الينا خيفة أن تبيحها رماح النصارى والسيوف الجوارح

جعل أهل الشام نصارى لأنها تلى الروم ، وهى بلادها .

(٤) فى الأصل : « ليقلبها » . وما أثبتنا من اللسان . والعبارة فيه : « وحور الخبزة تحويرا : هيأها ليضعها فى الملة » . والملة : الرماد الحار والجمر .

(٥) يريد أنه يدير الكية .

(٦) وقيل معناه : من فساد أمورنا بعد صلاحها . وقيل معناه : نعوذ بالله من الخروج عن الجماعة بعد الكور ، أى بعد أن كنا فى الكور ، أى الجماعة .

(٧) معين ، على النقص ، ومعيون ، على التمام .

ورُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :« قد يَضُر الغَبْطُ. كما يَضر العِضَاهَ الخبْط » . (١) والعَين : المتجسس للخبر . ويقال : بلد قليل العَين ، أى قليل النّاس . والعَين : عين الماء . والعَين : مطرٌ يدوم خمسةً أو ستّة لا يُقلع . والعين : عين الشمس . والعين :المال الناضّ (٢) . والعين : نفس الشئ . والعين المَيْل فى الميزان (٣) . والعين : عين الرُكّبة . والعَين : الثقب فى المزادة . وأنشد ثعلب :

* بذات لَوْثٍ عَينُها فى جِيدها * (٤)

وأسْوَد العين : جَبَل . قال الشاعر (٥) :

إذا زال عنكم أسودُ العين كنتمُ * كِرَاماً وأنتم ما أقام ألائمُ

لئام وألائم ، مثل كِرام وأكارم . وعين الشئ : خياره. ويقال: لقيته أوّل عَين ، أى أوّل شئ .

---

(١) الغبط : حسد خاص، وذلك اذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله وأن يدوم عليه ما هو فيه . والحسد : أن يكون لك ماله وأن يزول عنه ما هو فيه . فأراد عليه السلام أن الغبط لا يضر ضرر الحسد، وأن ما يلحق الغابط من الضرر الراجع الى نقصان الثواب دون الاحباط بقدر ما يلحق العضاه من خبط ورقها الذى هو دون قطعها واستئصالها ، ولأنه يعود بعد الخبط . والذى فى الاصل : « قد تضر الغيظة كما تضر العضا الخيطة» . وما أثبتنا استئناسا بما فى ابن الأثير (غبط). والحديث فيه : « انه سئل: هل يضر الغبط . قال : لا الا كما يضر العضاه الخبط » . وبمثل هذا جاء فى اللسان (غبط) .

(٢) الناض من المال : ما كان ذهبا أو فضة عينا أو ورقا .

(٣) هو أن ترجح احدى كفتيه على الأخرى .

(٤) البيت من ابيات ثلاثة جاءت غير منسوبة فى معانى الشعر للاشنانى ندانى (ص ٣٣) فى وصف القربة ، وهى :

قالت سليمى قولة لريدها ... مالا بن عمى مقبلا من شيدها

بذات لوث عينها فى جيدها

وذات لوث ، أى معصوبة . وفى الأصل . « بذات لون » .

(٥) هو الفرزدق .

* وقوله : « بَعيدة عن رَجْم الظُّنون ، كأمثال اللؤلؤ المَكْنون » .

رَجم الظنّ ، الذى لا يُوقف على حقيقته . والرّجم أيضا : الشتم . والشيطان الرَّجيم : البعيد عن رحمة الله . والمكنون : المصون ؛ ومنه : كنانة النَّبل ، لأنها تَصونها . والكانون : الثقيل الملازم فى المجلس . قال الحُطيئة يهجو أمه :

أغِرْ بالاً إذا استُودعتِ سِراً * وكانوناً على المتحدِّثينا

* قوله : « بيض الغُرر والتّرائب ، سُود الطُّرر والذّوائب »

الغرر هاهنا : الوجوه ، وهو جمع غُرة ، وغُرّة كل شئ : أوله وأكرمه . والأغر : الأبيض . والغُرر : ثلاث ليال من أوّل الشهر . وأمّا قولُ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : « فى الجنين غُرة : عبدٌ أو أمة » . فإنّه عبّر عن الجسم كله بالغرّة [1] . والغُرّة : البياض فى الجبهة فوق الدرهم ؛ وجمع ذلك كله غُرَر . والغِرَار : النّوم القليل . والغِرَار : المثال الذى تطبع عليه نصال السهام وغيرها . والغِرَار ، فى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « لا غِرَار فى الصَّلاة » [2] هو ألاّ يُتم

---

(١) الرواية فى ابن الأثير : « انه جعل فى الجنين غرة : عبدا أو أمة » . وقال : « وجاء فى بعض روايات الحديث : بغرة : عبد أو أمة » . وقال فى شرحه : « الغرة : العبد نفسه أو الأمة . وأصل الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس . وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : الغرة : عبد أبيض أو أمة بيضاء ، وسمى غرة لبياضه . فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية سوداء . وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . وانما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والاماء . وانما تجب الغرة فى الجنين اذ سقط ميتا ، فان سقط حيا ثم مات ففيه الدية كاملة »

(٢) الذى فى النهاية (غرر) : « لا غرار فى صلاة ولا تسليم » . وفيها : « ويريد بغرار الصلاة : نقصان هيئتها وأركانها . وغرار التسليم : أن يقول المجيب : وعليك ولا يقول السلام . وقيل أراد بالغرار : النوم . والتسليم ، يروى بالنصب والجر ، فمن جره كان معطوفا على الغرار ، ويكون المعنى : لا نقص ولا تسليم فى الصلاة ، لأن الكلام فى الصلاة بغير كلامها لا يجوز » .

ركوعها وسجودها . والغرار : حدّ السّيف والشفرة وغيرهما . والغرير : الخُلقُ الحَسَن ؛ يقال للشيخ : أدبر غَرِيرهُ ، وأقبل هِرَيره .[٩] والترائب : جمع تريبة ، وهى عظام الصَّدر . والتريب أيضا : الصدر . قال الراجز ، الأغلب العِجْلى :

أشْرف ثَدْياها على التَّرِيب * لم يَعْدُوَا التَّفليك فى النُّتُوب [٢]

وطُرة الشَّعر معروفه ، وكذلك طُرة الثوب . وطرَّ النبت ، إذا اهتز ؛ ومن ذلك يقال : طُرَّ شارب الغلام ، فهو طارّ [٣] . والرجل الطَّرير : ذو الهيئة . قال ابنُ مالك مُعَوِّد الحُكماء [٤] :

ويُعجبك الطَّرِيرُ فَتَبتليه * فيُخلف ظَنَّك الرّجلُ الطريرُ

والذَّوائب : جمع ذُؤابة ، وَذُؤابة كل شئ : أعلاه ؛ وبذلك سُمِّيت الذؤابة.

* قوله : « مَقرونة الحواجبِ ، مَوْشُومة الرَّواجب ؛ تَفْتَرّ عن دُررٍ من الثُّغور ، ودَرارىّ طالعةٍ لا تَغور » .

القَرن فى الحاجبين : اتّصالهما ، وهو مَصْدر : قرن [٥] . والذى ليس بأقرن يُسمّى الأبلد والأبلج ، ومصدراهما [٦] البَلَد والبَلَج ، وهو الذى بين حاجبَيْه

---

(١) أى قد ساء خلقه .

(٢) التفليك ، من فلك الثدي ، بالتضعيف ، اذا استدار . والنتوب : النهود ، وهو ارتفاعه .

(٣) يقال : طر شاربه ، بالبناء للفاعل ، ويقال : طر شاربه ، بالبناء للمفعول ، والأول أفصح .

(٤) كذا فى الأصل . وهو معاوية بن مالك . وسمى معود الحكماء لقوله :

أعود مثلها الحكماء بعدى اذا ما الحق فى الحدثان نابا

غير أن البيت التالى رواه ابن منظور فى اللسان (طرر) منسوبا للعباس بن مرداس ، وقيل المتلمس .

(٥) فى الأصل : « اتصالها وهو مصدر الأقرن » . ظاهر أنه صوابه ماأثبتنا . وفيما سيأتى مثله .

(٦) فى الأصل : « ومصدره » .

فرجة لاشعر فيها تسمى البُلْدة[١]. وبذلك سميت البُلْدة من منازل القمر، لأنها لا نجوم فيها[٢]. والقِرانُ: الحبْل الذى يُقرن به شيئان، أى يوصل بينهما. والقَرَن: الحبْل أيضاً. قال الشاعر:

أبْلِغ أبا مِسْمع إنْ كُنتَ لاقِيَه * أنِّى لَدَى البَاب كالمشدود فى قَرَنِ

والقِرَانُ أيضا: أن يُجمع بين تمرتين عند الأكل، ومنه: قِرانُ الحج بالعُمرة. والمُقْرِن: المُطيق للشئ، ومنه قوله تعالى: (وما كُنا له مُقْرِنين).

وَوَشْم اليد: نَقْشها،[٣] وهو أنْ تُغرَز بالإبرة ثم يُذَر عليها النُّؤور، وهو دُخان الفَتِيلة. وكنى بالوشم عن الكتابه فى هذا الموضع. والرواجب: مَفاصل الأصابع كلّها، وهى جمع راجبة. تفتر، أى تبسم. والدُّرر: جمع دُرّة. والدَّرارى: جمع دُرِّىّ، وهو الكوكب الثاقب المضئ، شُبِّه بالدرة المُضيئة. تغور، أى تغيب؛ يقال: غارت الشمس تغور غياراً. قال أبو ذُؤيب.

هَلِ الدهرُ إلا ليلةٌ ونهارُها * وإلاّ طُلوع الشمس ثم غيارُها

أى مَغِيبها. وغار الماء يغور غَورا[٤]. ومنه قوله تعالى: (أنْ أصْبح ماؤكم غَوْراً) أى غائرا، أقام المصدر مُقام اسم الفاعل، كقولهم: جاء القوم ركضاً، أى راكضين. وغارت عينه تغور غَورا. قال العجّاج:

---

(١) البلدة، بالفتح والضم.

(٢) البلدة: من منازل القمر، بين النعائم وسعد الذابح، خلاء لا من كواكب صغار. وقيل لانجوم فيها البتة.

(٣) الفتيلة: الذبالة. وعبارة كتب اللغة: «والنؤور: دخان الشحم».

(٤) وغؤورا، أيضا.

كأن عَيْنَيْه من الغُوُور * قَلْتَانِ أوحَوْجلتا قارُورِ (١)

الحوجلة : قارورة صغيرة واسعة الرأس . والغَوْر : تهامة ؛ يقال : غار الرجل وأغار (٢) ، إذا أتى الغور . قال الشاعر يصف الخيل :

تَغُور زماناً ثم تبدو قَد اكتستْ * من المال جُلاَّت العِشَار القَناعسِ

ويروى : « وتعرَى زمانا (٣) » . وقال آخر :

ليت شعرى ما أماتهم * نحن أنجدنا (٤) وهم غارُوا

وغَور كل شئ : قعره . وأغار الرجل على العِدا إغارة . والاسم الغارة .

* قوله : « عواطل من الحُلِىّ ، لا تعْرف عَدُوّا من وَلى ؛ يخلو بها ذو الرِّيْب ، وهى بريئة الجَيْب ، من التهمة والعَيب » .

يقال : امرأة عاطل ، إذا كانت غير حالية . والرِّيب : الشك ؛ يقال : دع ما يَريبك إلى مالا يريبك . (٥) ورَيْب المنون : حوادث الدهر . ومنه قوله تعالى : (نتَربص به رَيْب المَنُون) . وأراب الرجل ، إذا صار ذا رِيبة . ورابنى ، إذا أدخل علىّ شكا وخوفاً . والرِّيْب : الحاجة . قال كعب بن مالك الأنصارىّ :

---

(١) القلت (باسكان اللام) : النقرة فى الجبل تمسك الماء . وقد أنشد ابن منظور البيت فى اللسان (حجل) منسوبا للعجاج ثم قال : « قال ابن برى : الذى فى رجز العجاج :

قلتان فى لحدى صفا مقور صفران أو حوجلتا قارور »

(٢) وقيدها ابن منظور بأنها لغة قليلة . وزاد « التغوير » .

(٣) من المال ، بيان لجلات بعده . والجلات : الكبار المسان من الابل . والقناعس : الضخام العظام . والبيت كما يبدو فى وصف ابل لا خيل .

(٤) أنجدنا ، أى أتينا نجدا . وفى الأصل : « أو لجنا » . وما أثبتنا من هامش الأصل . وقد أشير فى هامشه أيضا إلى أن الرواية كانت « وهم فاتوا » فأبدلها « وهم غاروا » .

(٥) يروى بفتح الياء وضمها .

قَضَيْنا من تِهامة كل رَيبٍ * وَخير ثم أجْمَمْنَا السُّيُوفا (١)

* قوله :« لم تُطمث بأنس ولا جَان ، ولا آستترت عن الأبصار بالبراقع ولا المَجان » .

الطَّمْثُ : الجماع ، مصدر طمث الرجل زوجته يَطْمِثها ، فهو طامث ، إذا جامَعها ؛ ويقال : إذا آفتضها . ومنه قوله تعالى : (لم يَطْمِثْهن إنسٌ قَبْلَهم ولا جَان) . والطامث أيضاً : الحائض . والطَّمْث : المس ، فى كل شئ يُمَسّ . قال : ويقال : ما طَمَث هذا المرْتَع قبلَنا أحدٌ . قال : وكل شئ يُطمث . قال الخليل : طَمَثْتُ البعير طَمْثا ، إذا عقلتَه . ويقال : ما طَمَث هذه الناقة حَبْلٌ قط ، أى ما مَسّها . والطَّمْث أيضا : الدَنس .

والمجنّ . ما يَترك ، وسمى الترس مجنا لستر صاحبه ، واختصّ بذلك لكثرة الاستعمال . والجُنة : ما آستترت به من السلاح ؛ ومنه قوله تعالى : (فلما جَنّ عليه اللَّيل) أى ستره بالظلام . يقال : جَنّ الليل جُنوناً وجَنَاناً . قال خُفَاف بن نُدْبة (٢) :

ولولا جَنانُ اللَّيل أدرك رَكْضُنا
بذى الرِّمث والأَرْطى عِياضَ بن ناشِبِ (٣)

---

(١) أجمنا : أرحنا .

(٢) ويروى البيت أيضا لدريد بن الصمة . انظر اللسان (جنن) ومعجم البلدان (ذو رمث الرمث) .

(٣) ويروى : « ولولا جنون » . والرواية فى اللسان (خيلنا) مكان (ركضنا) . والرمث : مرعى من مراعى الابل ، وهو من الحمض . وذو الرمث : وادلبنى أسد . والأرطى : شجر من شجر الرمل . وعياض بن ناشب فزارى . والذى فى الأصل : « بن ثابت » تحريف . وبعد هذا البيت :

فتلنا بعبد الله خير لدانه ذؤاب بن أسماء بن بدر بن قارب

والجنين : الولد فى بطن أمه . والجنين أيضا : المقبور . والجنان : القلب . وآشتقاق ذلك كله من الستر والتغطيه . وسميت الجنّ جنّا لاستتارهم .

* قوله: « لا تجزى المُحِبَّ بِنِفَار ، ولا تُحرِّم بنكاح على الكُفار ؛ تَحِلّ بعد ثلاثٍ من الطَّلاق ، بمَساس وتلاق ؛ لا تَنْشِز من بَعْل ، وإن وَطئها بالنَّعْل ؛ مُقْعَدة تسير فى بُعد وقرب ، صائمة عن الأكل والشرب » .

النفار : التباعد ، وكذلك النُّفور . لاتشز ، يقال : نشزَتِ المرأة على بَعْلها نُشوزاً [١] ، إذا عَصتْه . ونشز بعلُها عليها : ضربها وجفاها . والنَّشز : [٢] المكان المرتفع . والنَّشز : الارتفاع . والبَعْل : الزوج . والبعل : الرب . والبعل : الصاحب . يقال منه : بَعَل يَبْعل ، إذا صار بَعْلاً . قال الشاعر :

* يارُبَّ بَعْل ساء ما كان بَعَل *

والبعْل : صَنم كان يُعْبَد . ومنه قوله تعالى . (أتَدْعُون بَعْلاً) . والبعْل : ما يَشرب بعُرُوقه من الأرض بغير سَقْى . وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ماشَرِبَ بَعْلاً » . والبَعل [٢] : الأرض المرتفعه لا يُصيبُها مطر [إلا مرّة واحدةً فى السَّنة] . [٤] والبِعال : مُلاعبة الرجل أهله . وفى الحديث : « إنّها أيام أكل وشُرْبٍ وبِعَالٍ » . يعنى أيام التشريق .

---

(١) يقال : نشزت المرأة بزوجها وعلى زوجها . والمضارع منه بكسر العين وضمها .
(٢) النشز ، بالفتح والتحريك .
(٣) لفظ الحديث كما فى النهاية واللسان (بعل) : « ماسقى بعلا ففيه العشر » .
(٤) التكملة من كتب اللغة .

* قوله : « مَمْنوعة عن اللذات ، نقيّة العِرْض والذات ؛ لا تُغْسل من دَرَنٍ ، ولا تُوْصَف بكَسَلٍ ولا أرَنٍ ؛ تنطق بصُموت ، وتَحيا بعد أنْ تَموت ؛ يُسْمَعَ نُطْقها بالعَيْن ، لا تَلفظ بلسانٍ ولا بشفَتَيْن » .

والعِرْض : النَّفْس . والعِرْض : الحَسَب . ويقال : بل العرض : كل موضع يَعْرق من الجسد . ويقال : بل العرض : الجسد[1] ، والريح طيّبة كانت أو خبيثة.

والدَّرَن . الوَسَخ . والدَّرِين : الحَوْليّ من النبات اليَبيس . والإدْرَوْن :[2] الأصل . ودُرَيْنَة . اسمٌ للأحمق .

والأرَن والإرَان : النّشاط فى الخيل وغيرها . والإران : النعش يُحمل عليه الموتى .

* قوله : « تُضحك وتُبكى السّامِر والضجيع ، بنظام حَسَنٍ وتَسْجيع » .

والسامر . واحد السُّمّار . والسّامر أيضا : القوم يَسْمرون . قال الحارث الجُرهمى[3] :

كأن لم يَكُنْ بين الحجون إلى الصَّفا * أنيسٌ ولم يَسْمر بمكة سامِرُ[4]

بلى نحن كنّا أهلَها فأزالتا[5] * صُروفُ الليالى والجدود العَوائر

---

(١) فى الأصل : « الجلد » . والتصويب من كتب اللغة .

(٢) الادرون ، بالكسر ، ومنه شعر القلاخ :

ومثل عتاب رددناه إلى * ادرونه ولؤم أصه على

ألرغم موطوء الحصى مذلا

(٣) هو الحارث بن عمرو بن مضاض الجرهمى ، وهذا الشعر كما ينسب اليه ينسب إلى أبيه مضاض أيضا . (انظر السيرة لابن هشام والأغانى ومعجم البلدان فى رسم حجون) .

(٤) الحجون (بفتح الحاء) : جبل بأعلى مكة .

(٥) فى الأغانى ومعجم البلدان : « فأبادنا » .

والسَّامر : المكان يُجْتمع فيه للسمر . قال :

* وسامر طال لهم فيه السَّمر * (١)

والسَّمر : فعْل السَّامر . والسَّمَر أيضاً : سوادُ اللَّيل .

والضجيع : المُضاجع . والنِّظام : الشَّعر ، شُبه بنظام الدر والخرز ، وهو ما أُظِم بعض إلى بعضه ، أى جُمع بخيطٍ ، وذلك الخيط يُسمى السلك .

والسَّجع من الكلام : ما كان له قوافٍ كقوافى الشِّعر .

* قوله : « تخبر عن جَديس وطسم ، ومَا عفَا من أثرورَسْم ؛ حُبُّهنّ دينٌ ، وهواهُنّ فرضٌ على المُوحِّدين » .

جديس وطسم : هما أمتان عظيمتان من الأمم الماضية انقرضوا فلا بقية لهم. وجديس ، أخو ثمود . وهما ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح . وطَسم ، ابن لاَوذ بن سام بن نوح . وكانت طَسْم وجَدِيس يسكنون اليمامة ، وكان لهم ملك من طَسْم سيئ السيرة ، وكانوا لا يزوجون امرأة من جَدَيس الا بَعَثَ إليها ليلة زِفَافِها فافترعها قبل زوجها . فوثبتْ جَدِيس على ذلك الملك فى غرّة فقتلوه ، وقتلوا معه من طسم مقتلة عظيمة . فمضى رجل من طسم إلى حسان بن أسْعد تُبّع ابن كُلَيكَرِب (٢) بن تُبّع الأكبر بن تُبّع الأقرن بن شَمِر بَرْعش بن إفريقيش ابن أبرهة ذى المنار بن الحارث الرائش الحِمْيَرِىّ يستصرخه . فوجّه معه جيشاً إلى اليمامة ، وكانت اليمامة تسمى يومئذ جَوّ ، وكانت بها امرأة اسمُها اليمامة ، وهى الزرقاء ، وكانت تُبصر الراكب من مَسيرة أيام . وباسمها سُمِّيت جَوّ اليمامةَ .

---

(١) فى اللسان (سمر) : * وسامر طال فيه اللهو والسمر *

(٢) فى الاصل : « ملكيكرب » انظر السيرة لابن هشام (١ : ٢٠) طبعة الحلبى .

فلما خافوا أن تُبصرهم فتُنذر بهم قَطعوا الشجر ، وجعل كلُّ رجل من الجيش بين يديه شجرة . فنظرت اليمامةُ فقالت : يامعشر جَديس . لقد جاءتكم حِمْيَر أو سار إليكم الشجر . فقالوا ما ترَين ؟ فقالت : أرى فى الشجر رجلا معه كَتِف يأكلها أو نعل يخصفها ، فكذّبوها . فصبّحتهم حمير فقتلتهم وأفنتهم . وقد ذكرت ذلك الشعراء . قال الأعشى :

ما نظرت ذاتُ أشفارٍ كَنظرتِها ... يوماً ولا كَذب الذِّئبيّ إذ سَجعا (١)

قالت أرى رجلا فى كفه كتفٌ ... أو يخصف النعل لَهفى أيَّةً صَنَعا

فكذّبوها بما قالت فَصبّحهم ... ذو آل حَسّان يُزْجِى السُّم والسَّلَعا (٢)

فاستنزلوا أهلَ جوّ من مساكنهم (٣) ... وهَدّموا يافع (٤) البُنيان فاتّضعا

« وماعفى من . . الخ ». يقال : عفا المنزل يَعفو عفاء ، أى دَرس ، وعَفته الريح أيضا ، عفاء ، أى درسته ، يتعدى ولا يتعدّى .

وأثر الشئ . بقيته . والرسم : الأثر . وترسمت الدار ، نظرت إلى رُسومها . قال ذو الرُّمة :

أأن ترسمت من خَرْقاء منزلةً ... ماء الصَّبابة من عَينيك مَسْجُوم (٥)

والرَّسيم : ضربٌ من سَير الابل . وناقة رَسُوم : تؤثر فى الأرض من شدة

---

(١) يريد بذات الأشفار : زرقاء اليمامة . والذئبى ، هو سطيح الكاهن ، واسم سطيح : ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب . والرواية فى ديوان الأعشى : « حقا كما صدق ، مكان « يوما ولا كذب »

(٢) السلع : سم . والرواية فى الديوان : « يزجى الموت والشرعا » . والشرع : الأوتار ، الواحدة شرعة .

(٣) فى الديوان : « فى مساكنهم »

(٤) فى الديوان : « شاخص » .

(٥) خرقاء : موضع